الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة 8ماي 1945 قالمة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: التـــــاريخ

تخصص: المغرب العربي المعاصر

عنوان المذكرة

الثورة الجزائرية في عامها الخامس من خلال كتاب فرانز فانون

مذكرة مكملـــــة لنيل شهـــــادة **الماستر**

اعداد

- آمنة صيافة

- سلمى عفايفية

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الصفة
د.قرين عبد الكريم	**أستاذ محاضر -أ-**	**رئيسا**
أ.د غربي الحواس	**أستاذ محاضر -ب-**	**مؤطرا**
أ. فركوس ياسر	**أستاذ محاضر-أ-**	**عضوا**

السنة الجامعية: 2020-2021م

شكر وعرفان

عملا بقوله تعالى

«لئن شكرتم لأزيدنكم»

سورة ابراهيم الآية7

وقول رسولنا عليه أفضل الصلاة والسلام

»من لم يشكر الناس لم يشكر الله«

نشكر الله عز وجل على توفيقه لنا اذ كان لنا خير المعين فله الحمد والشكر

نتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذنا المشرف غربي الحواس لما أسهم به من توجيهات وملاحظات لإنجاز هذا العمل فله من أسمى عبارات الاحترام والتقدير والشكر الجزيل

كما نشكر كل من قدم لنا يد المساعدة من قريب أو من بعيد كان والتوجه بالشكر إلى لجنة المناقشة لاطلاعها على عملنا المتواضع

كما لا يفوتنا أن نشكر جميع أساتذة قسم التاريخ إلى كل هؤلاء وغيرهم نتوجه بالشكر الجزيل

سلمى + آمنة

الإهداء

إلى الذي وهبني كل ما يملك حتى أحقق له آماله إلى من كان يدفعني قدما نحو الأمام لنيل المبتغى وسهر على تعليمي أبي الغالي محمد الهادي

إلى مدرستي الأولى في الحياة والتي وهبت فلذة كبدها كل العطاء والحنان وكانت سندي ودعواها لي بالتوفيق تتبعني أمي الحبيبة صليحة

إلى من حبهم يجري في عروقي وسندي في الحياة إخوتي منصف ولينة وشمعة البيت أخي الصغير أصيل

إلى حبيبة قلبي خالتي فتيحة وأبناؤها يحي كوثر شعيب

إلى صديقتي ورفيقة دربي ومشاركتي في العمل سلمى

إلى صديقتي المقربة أميرة

إلى من قضيت معهم أجمل الأيام صديقاتي سارة توتة خولة حياة سمية هالة صفاء

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي

آمنة

إهداء

أحمد الله عزوجل على منه وعونه لإتمام هذه المذكرة

أهدي ثمرة جهدي إلى الذي وهبني كل ما يملك حتى أحقق له آماله أبي العزيز على عفايفية

إلى مدرستي الأولى في الحياة التي وهبت فلذة كبدها كل العطاء أمي العزيزة جمعة عفايفية

إلى كل إخوتي الذين أحاطوني بكامل الرعاية والاهتمام

سندي في الحياة صديق سفيان سهام سهيلة سمراء "زوجة أخي حنان"

إلى صديقتي ومشاركتي في العمل وكانت خير رفيقة آمنة

إلى رفقاء دربي الذين جمعني بهم الحرم الجامعي سامية أميرة سمية خولة سارة حياة زبيدة سلمى

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي

سلمى

قائمة الرموز:

ج	جزء
ط	طبعة
تح	تحقيق
تر	ترجمة
تق	تقديم
د.س	دون سنة
مر	مراقبة

مقـــــدمة

مقدمة:

تعتبر الثورة الجزائرية من أهم الثورات الكبرى التي شهدها العالم خلال القرن العشرين ذلك لما حققته من انتصارات على المستوى الداخلي والخارجي فقد رفع شعارها كل ثوار العالم لتصبح نموذجا للمستعمرات في نضالهم ضد الاستعمار لأنها أحيت الضمائر الميتة وحركت العقول الجامدة وتضامنت معها العديد من الشخصيات والكثير من الساسة والمفكرين ولعل أهم دعم لها كان من قبل مثقفين من أبناء فرنسا نفسها فكانت مواقفهم مشرفة تصب في دعم الثورة الجزائرية والتعاطف معها وتلاحمهم مع الجزائريين وتأكدوا أن للجزائر حق يجب الدفاع عنه ومن أبرز الشخصيات التي آمنت بمبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها فرانز فانون الذي ما لبث وجوده في الجزائر وسرعان ما التحق بصفوف جبهة التحرير الوطني والذي سخر روحه وقلمه دفاعا عن مصالحها والتعريف بقضيتا ليترك بصمة في تاريخ الجزائر تحديدا من خلال كتاباته الداعمة للثورة الجزائرية والتي انطوت في كتاب العام الخامس للثورة الجزائرية وما يحمله من تحليلات وتفسيرات وشهادات عن واقع المجتمع الجزائري في كفاحه ومحاولته لتوصيل فكرة إقامة جزائر جديدة للعالم ككل حيث سلط فانون الضوء في هذا الكتاب على انطلاقة الثورة 1954وأبرز التغيرات التي أحدثتها في العديد من الجوانب وصولا إلى أهم قرارات جبهة التحرير للتصدي في وجه الترسانة الاستعمارية

أسباب اختيار الموضوع: من الطبيعي أن تكون للباحث في اختياره للموضوع أسباب ذاتية وموضوعية لإجراء دراسة موضوع ما يود معالجته والبحث فيه

أ_ أسباب ذاتية:

- رغبتنا الشخصية في التعرف على أبرز المساندين للثورة الجزائرية من جنسيات أجنبية
- الميول الشخصي لمعرفة محتوى كتاب العام الخامس للثورة الجزائرية الذي كتب بقلم مفكر فرنسي فرانز فانون الذي ساند الثور التحريرية وكذلك التعرف على شخصيته كمناضل .

ب_ أسباب موضوعية :

- قلة الدراسات المتخصصة حول إسهامات فرانز فانون في الثورة الجزائرية
- معرفة وتحليل أهم المحطات والتغيرات التي طرأت على المجتمع الجزائري من منظور فانون في كتابه العام الخامس للثورة الجزائرية
- معرفة القيمة العلمية لهذا الكتاب كمصدر للثورة الجزائرية

الإطار الزماني والمكاني :

ان الفترة الزمنية المختارة في دراستنا لهذا الموضوع حصرناها من اندلاع الثورة الجزائرية 1954الى غاية 1958 وما تبعها من أحداث غيرت الواقع آنذاك.

الإشكالية:

تتمحور دراستنا حول كتاب العام الخامس للثورة الجزائرية للكاتب فرانز فانون الذي سلط الضوء على عدة جوانب من الثورة الجزائرية ونحصر إشكالية موضوعنا في:

ما مدى مساهمة الجوانب التي درسها فرانز فانون في تغيير المسار الثوري؟

وتندرج تحت هذه الإشكالية مجموعة من الأسئلة الفرعية المتمثلة في مايلي:

- من هو فانون؟ وما علاقته بالثورة الجزائرية؟
- ماهي أبرز الجوانب التي تحدث عنها فانون في هذا الكتاب ؟
- الى مدى ساهمت هذه الجوانب في تغيير صبغة المجتمع؟

المنهج:

أما فيما يخص منهج الدراسة فقد تطلبت طبيعة الموضوع الاعتماد على :

المنهج التاريخي الوضعي باعتباره الأنسب في عرض الاحداث التاريخية بداية من نشأة فرانز فانون وصولا إلى عرض أحداث الثورة وفق تسلسل زمني كذلك المنهج التحليلي الذي وضفناه في تحليل فصول محتوى الكتاب تبعا للمادة العلمية المتحصل عليها ومن أجل الإطاحة بالموضوع والإجابة عن التساؤلات السابقة الذكر تم تقسيم الموضوع إلى مقدمة وأربعة فصول

وخاتمة وملاحق توضيحية لها علاقة بالموضوع مع قائمة المصادر والمراجع المعتمدة في الدراسة.

حيث تناول الفصل الاول: والمعنون ب نبذة تاريخية عن فرانز فانون الذي تحدثنا فيه عن المولد والنشأة ودراسته وأهم مؤلفاته وكذلك نشاطه في الثورة الجزائرية حتى مرضه ووفاته

أما الفصل الثاني: والمعنون ب التركيبة الاجتماعية في الجزائر خلال الثورة الذي تطرقنا فيه إلى التغيرات التي مست المجتمع الجزائري بما في ذلك الأسرة الجزائرية من جهة والمرأة من جهة أخرى وتبيين أهم الأدوار التي جسدتها وتحدثنا أيضا عن دور ومساهمة الأقلية الأوروبية في الثورة الجزائرية

أما الفصل الثالث الذي تحت عنوان الإعلام الإذاعي في الجزائر خلال الثورة إذاعة صوت الجزائر المقاتلة نموذجا الذي يضم المبحث الأول الإذاعة وسيلة للدعاية الاستعمارية والبحث الثاني نشأة إذاعة الجزائر الحرة المكافحة كسلاح في معركة التحرير يضم هذا المبحث الظروف التي صاحبت انشاء راديو الجزائر المكافحة وجبهة التحرير ودورها في انشاء إذاعة صوت الجزائر المكافحة

والبحث الثالث يتحدث عن تأثير الإذاعة الجزائرية على مسار الثورة

أما الفصل الرابع والذي جاء تحت عنوان الوضع الصحي في الجزائر في ظل النظام الاستعماري الذي تناول أهم وجهات النظر حول الطب ولأطباء والتغيرات التي مست هذا الجانب الصحي

وينتهي البحث بخاتمة استعرضنا فيها أهم النتائج المستخلصة والمتوصل إليها للإجابة عن الإشكالية والتساؤلات الفرعية التي طرحت سابقا

المصادر والمراجع: ولإعداد هذه الدراسة اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها :

فرانز فانون العام الخامس للثورة الجزائرية والذي تحدث فيه فانون عن جرائم الاستعمار ومحاولته لمسح ذاكرة الجزائريين وتجريديهم من تاريخهم وعاداتهم وتقاليدهم والقضاء على الهوية الوطنية وإبراز التحول الجذري الذي طرأ على المجتمع أثناء الثورة.

كتاب محمد الميلي فرانز فانون والثورة الجزائرية الذي سرد فيه أهم محطات فانون في الجزائر عامة وجبهة التحرير خاصة.

ديفيد كوت فرانز فانون سيرة فكرية والذي شرح فيه أهم المواضيع التي طرحها فرانز فانون في قضية الثورة الجزائرية دراسة وتحليلا وبمنظوره الفلسفي

عبد القادر بن عراب فرانز رجل القطيعة تناول فيه حياة فرانز فانون ومسيرته النضالية فرانز فانون معذبو الارض والذي تطرق فيه إلى استعراض بعض القضايا التي أثرت في فكره نتيجة احتكاكه بالثورة الجزائرية

الصعوبات والمساعدات

وككل بحث لا يخلو من الصعوبات في إنجازه ومن بين الصعوبات فيما يتعلق بالمادة البحثية وبشكل أخص:

- ❖ قلة المصادر والمراجع التي تناولت دراسة شخصية فرانز فانون دراسة علمية أكاديمية متخصصة باللغة العربية.
- ❖ صعوبة فهم الاسلوب الفلسفي الذي كتب به فانون كتابه العام الخامس للثورة الجزائرية وكذلك بعض مؤلفاته الذي يتطلب الاستعانة ببعض الأساتذة أو بعض المقالات المنشورة على المواقع الإلكترونية لأجل استعابها وفهمها جيد.
- ❖ كذلك تنوع مواضيع الكتاب من صحة واعلام والمرأة ودراسة شخصية .
- ❖ كما لا ننسى الوضع الوبائي السائد في البلاد في ظل انتشار جائحة كورونا مما صعب علينا التنقل للبحث عن مصادر خادمة للموضوع .

وفي الاخير نتقدم بشكرنا للأستاذ غربي الحواس على ما بذله من مجهود لإخراج هذا العمل في صورته النهائية ونتمنى أن نكون قد ساهمنا في الإجابة عن إشكالية هذا الموضوع وتغطية كافة عناصره التي تضمنها ونسأل الله التوفيق والسداد.

الفصل الأول

نبذة تاريخية عن

شخصية فرانز فانون

المبحث الأول: مولده ونشأته: 1925-1945م:

ولد فرانز فانون Fantzfanon في 20 جويلية 1925م، بفوردي دي فرانس Fort de France عاصمة المارتينيك[1]، الواقعة بالبحر الكاريبي في أمريكا الوسطى[2]، وهو حفيد أولئك الرقيق الذين حملوا منذ قرون الى جزر الأنتيل[3] افريقيا، وكانت المارتنيك تشكل مع جزر الأنتيل الصغرى منطقة شملتها السيطرة الفرنسية منذ القرون السابع عشر، ونظرا الى أن السكان الأصليين لهذه الجزر قد ازدهرت تجارة الرقيق لتزويد المعمرين البيض بما يحتاجونه من أيد عاملة[4]، وتعود أصوله الى جذور إفريقية عميقة[5]، وظل أبناء الأفارقة الذين استقروا بالجزيرة يعانون من الاضطهاد ويقومون من حين لآخر بثورات تقمع بشدة ومع قيام الجمهورية الفرنسية الثالثة وظهور النظريات الاندماجية، توقف ذلك التطور وراح السكان يحلمون بالمساواة المطلقة مع الأوروبيين، وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى التي ساهم فيها سكان المارتينيك الى جنب سكان جميع المستعمرات الفرنسية اتخذت بعض التدابير تهدف الى إيجاد تقارب سطحي بين وضعية سكان المارتينيك وسكان "الوطن الأم" وقد أدى ذلك بالإضافة الى محاولة "النخبة" المارتنيكية التنكر لما فيها وزنوجيتها الى عرقلة الكفاح الشعبي[6].

---

[1]المارتينيك: إقليم فرنسي يقع في بحر الكاريبي يحده شرقا المحيط الأطلسي يفصله عن جزيرة دومينيك حوالي 30 كلم تبلغ مساحتها حوالي ألف ومائة كلم²، ويبعد عن الوطن الأم بمسافة سجيعة ألاف كيلومتر مربع استعمرت سنة 1835م.
(للمزيد ينظر الى محمد العربي الزبيري، المثقفون الجزائريون والثورة، د، ط، المؤسسة الوطنية للإشهار والنشر، الجزائر 1995، ص، ص134، 135).

[2]عبد القادر حسين ياسين، "الدكتور فرانز فانون المفكر الأسود الذي مزق الأقنعة البيضاء"، مجلة النور ع 26، 8 ديسمبر 2015م، ص03.

[3]الأنتيل: منطقة شملتها السيطرة الفرنسية منذ القرن 17 (للمزيد ينظر: محمد الميلي فرانز فانون والثورة الجزائرية، د، ط، دار الكتاب العربي، بيروت، د س، ص10.

[4]نفسه، ص10.

[5]عبد القادر غراب، فرانز فانون "رجل القطيعة" تر: عبد السلام يخلف، ط3، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص17.

[6]محمد الميلي، المصدر السابق، ص10.

يعد قانون الولد الثالث لعائلة مكونة من ثمانية إخوة ميزيل، فليكس، ماري فلور، ماري روز، غابريال، جوبي، وهللي، فرانز[1] كان فرانز فانون مقربا من أخيه جوبي Gobi الذي يكبره بسنين ويشاركه كل شيء حتى السرير كانا يفضلان نفس الهواية ممارسة الرياضة، وعلى الرغم من الارتباطات المتقاربة بينهما لم يكونا يبديان العاطفة الفياضة، فإظهار العواطف ليس شائعا في بيت فانون[2].

كان والده كازمير فانون Cesimitfanon" موظفا بالجمارك ومنصب الموظف في المارتنيك يعتبر امتيازا بالنسبة للعامل الزراعي[3]، وقد كان ينفق معظم وقته في العمل ولم يكن فعلا مشغولا بتربية الأولاد كما هو حال الأم "إليانور Alienor" التي تملك دكانا، ولعدة سنوات حمل قانون الامتعاص لوالده لأنه لا يوثق علاقته مع حياة الأقارب وهذا الامتعاص يمكن تلمسه في مقطع من رسالة كتبها فانون لأبيه حين كان يخدم في الجيش الفرنسي خلال الحرب العالمية الثانية 1944م، قائلا ".... لو نحن أبناءك لأديت واجبك نحونا، لو نحن أبناؤك لما قصرت اتجاهنا.... إن الوالدة وحدها هي من تستحق كل الثناء والتبجيل إنني أستطيع أن أرى التغير الذي ينطبع على وجهك، وأنت تقرأ هذه الأسطر، لكنها الحقيقة أنظر لنفسك، وأنظر الى السنوات التي انصرفت، عد روحك، وتحل بالجرأة لتقول لقد هجرتكم"[4].

وبعد هذه المشاركة في الحرب عاد الى المارتينيك يوم 12 سبتمبر 1945م أين تم إنهاء مدة تجنيده بتاريخ 13 جانفي 1946م، حكمت مشاركته هذه أوهامه فيما يخص "الوطن الأم" وأظهرت رسالة وجهها فانون الى والديه في شهر أفريل 1945م، تم العثور عليها بعد

---

[1] عبد الحميد حيفري: فرانز فانون بعض ملامح الشخصية الجزائرية في كتاباته، د ط، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007م، ص15.

[2] صالح عبد الزروق، "فرانز فانون والاستعمار سيكولوجيا الاضطهاد"، مجلة المثقف شهادات ومذكرات وشخصيات كانون الأول (ديسمبر، د ع، 2011م، ص2).

[3] عمراني عبد الحميد، جون بول سارتر والثورة الجزائرية، د ط، مكتبة مدبولي، باتنة، الجزائر، د س، ص68.

[4] صالح عبد الزروق، المصدر السابق، ص03.

وفاة والدته سنة 1980م، درجة وعيه المكتسب حيث كتب: "كنت مخطأ إلا تسيء هنا، لا شيء يبرر هذا القرار المفاجئ الذي يجعلني أدافع عن مصالح المزارع عندما لا يهتم هو بها" تحصل بعدها على منحة دراسية بصفته محارب سابق، وقرر دراسة الطب بجامعة ليون.[1]

[1]رشيد خطاب، الخاوة والرفاق قاموس بيوغرافي للجزائريين ذوي الأصل الأوروبي واليهودي والحرب التحريرية الجزائرية (1954-1962م) تر: محمد رضا بوخالفة ونسرين لولي، د ط، دار الخطاب الجزائر، 2013م، ص213.

المبحث الثاني: تكوينه ودراسته وأهم مؤلفاته1936-1961:

أولا: تكوينه ودراسته:

تعتبر الظروف الميسورة لعائلة فانون، بالرغم من أصولها الافريقية، فقد ساعدت على تعليمه وتدريسه حيث تلقى تعليمه بمسقط رأسه[1] أدخله والده مدرسة خاصة بالأطفال السود في المارتنيك في عام 1936 حيث كان فانون يبلغ من العمر 11 سنة[2] التحق فانون كغيره من أبناء الجزيرة بالمدرسة في السن القانونية المسموح بها للدراسة، وبعد مرور سنوات قصيرة على تعلمه، بدأ يدرك الفروق الواضحة بين اللهجة المحلية الكريولية[3] التي يتحدث بها أبناء الجزيرة ولغة الوطن الأم فرنسا ومما بقي عالقا بذاكرته من أيام المدرسة تلك الزيارة التي نظمتها مدرسته وهو في العاشرة من عمره لمشاهدة النصب التذكاري لشولشر[4] حيث كانت هذه الحادثة نقطة تحول مبكرة في حياة فانون الطفل، فلقد تساءل عند مشاهدته لهذا النصب عن صاحبه من هو؟ لماذا هو بالذات؟ وبما عرف الحقيقة بدأ فكره يتغير شيئا فشيئا، وقد عبر عن ذلك فيما بعد فانون الرجل، فقال: "فهمت لأول مرة أنهم كانوا يحكوا قصة كتب على انكار، وكانوا يوجهوننا الى نظام مرور، واصلت اللعب وممارسة الرياضة والذهاب الى السينما لكن ليس كما في السابق، وكأنه فتحت عيناي هي وأذناي.

من خلال الفقرة السابقة يظهر لنا أ، فرانز فانون أدرك حقيقة النصب التذكاري لمحرر العبيد ومساهم بشكل كبير في إلغاء تجارة الرق، حيث كانت هذه الحادثة لها أثر كبير في

---

[1] كديدة مبارك، دور فرانز فانون في إنشاء الجبهة الجنوبية الصحراوية في الثورة الجزائرية 1960-1962، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع27، المركز الجامعي تمنغاست، الجزائر، ديسمبر، 2016م، ص662.

[2] William Strike and, Frantz fanon : Hishifs and work of American studies faculty publiction series, janury 1979, p67.

[3] الكريول: اللغة التي يتحدث بها سكان الأنتيل الفرنسي وهي خليط من الفرنسية والانجليزية والاسبانية واللهجات الأوروبية للمزيد ينظر الى: ماضي مسعودة، فرانز فانون والثورة في افريقيا 1925-1961م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، تخصص التاريخ الافريقي والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة أدرار، الجزائر، 2008-2009، ص23.

[4] شولشر: (1804-1893)، كان رئيس لجنة إلغاء الرق التي نشأتها الحكومة الفرنسية 1848، لعب دور ركيز في صدور مرسوم إلغاء الرق في 27-04-1848م.

تغير فكر فانون ونظرته، ومن هنا بدأ تميزه وتغير مفاهيمه نحو الحرية الشيء الذي جعله مميز على باقي أقرانه في منطقته.

كان فرانز فانون قد انهى دراسته الابتدائية، وجزءا من دراسته الثانوية، حيث اندلعت الحرب العالمية الثانية، لذا فقد سافر في عام 1943، الى الدومنيك ليلتحق بالقوات الفرنسية الحرة الى جانب الانجليز والأمريكيين ضد ألمانيا وإيطاليا، وقد تطوع استجابة منه لنداء الواجب والضمير باعتباره فرنسيا، متجاوزا بذلك كونه زنجيا أسود، عاش صراعا مريرا مع الرجل الأبيض.

في تعليمه الثانوي درس فانون في ثانوية سكولشير الفرنسية تعلم فيها اللغة الفرنسية الكلاسيكية أين تأثر بشخصيات سياسية، وكان فانون كما يقدمه دافيد ماسي، محبا للمعرفة ومنفتحا على اخرين"[1].

حيث واصل تعليمه في الثانوية، اين تعرف على معلمه ايمي سيزير[2]، الذي علمه كيف يطالب بحقوقه ويدافع عنها كفرد[3].

---

[1]سليمة كبير، فرانز فانون المفكر الغائص في أعماق الثورة الجزائرية، المكتبة الخضراء للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د س، ص.10.

5 اكرام بن عيسى حياة فرانز فانون ونضاله مع الثورة الجزائرية 1925-1961. مجلة الفرطاس جامعة ابو بكر بالقايد تلمسان. الجزائر ع8. جانفي 2018.ص83

[2] ايمي سيزر. شاعر وسياسي اسود من جزر المارتينيك وصل باريس عام 1930 بمنحة دراسية وعاش فيها كطالب افريقي شاب وهناك اكتشف بشكل تدريجي الثقافة العنصرية وطرد المكون الافريقي من الهوية العالمية اسس في سبتمبر 1934 منظمة صحيفة الطالب الاسود والتي تبنى من خلالها مجموعة من المثقفين الافارقة مبدا الزنوجة الفرنسي والترويج لافريقيا وثقافتها للمزيد ينظر ديفيد كوت. فرانز فانون سيرة فكرية. تر. عدنان كيالي. تق فوزي سليسلي.ط1. مدارات للأبحاث والنشر. القاهرة مصر. يناير 2017.ص31.

إكرام بن عيسى "حياة فرانز فانون ونضاله مع الثورة الجزائرية 1925-1961م" مجلة الفرطاس، جامعة أبو بكر بالقايد تلمسان، الجزائر، ع8، جانفي 2018، ص83.

[3]الفجرى بن ميلود الفجرى دغمان، ملتقى فرانز فانون، مديرية الثقافة لولاية الطارف، الطبعة السابعة، 06-08-2012.

بعد مشاركة فانون في الحرب عاد الى المارتينيك يوم 12 سبتمبر 1945 أين تم انهاء تجنيده بتاريخ 12 جانفي 1946، حيث ساهم بحملة انتخابية لصالح أستاذه ايمي سيزر، ثم أكمل فانون دراسته الثانوية ونجح في البكالوريا وحصل على منحة دراسية بصفته محارب سابق[1] وفي عام 1947 سافر الى فرنسا عاش في مدينة ليون حياة طالب نشيط مهتم بدراسته في مجال الطب[2] فدرس لدى عالم النفس الاسباني الكبير في فرنسا فرانسوا كتالان، كما كان مولعا بالدراسات الفكرية والفلسفية، فتأثر بالتحليل النفسي والجدلية، وقد سمحت له دراساته بالجمع بين التحليل النفسي والمنهج الماركسي لفهم مأساة الانسان المعاصر والتفكير في أساليب تحريره[3].

هنا اكتشف قانون حقيقة بنية المجتمع الأوروبي عامة والمجتمع الفرنسي وأدرك حقيقة وجوده كالسود اللون لا يعامل مثل الأبيض، حيث أدرك بأنه لا يمكن تحقيق ما يسمى بالمساواة بين الجنسين الأبيض والأسود فالصراع قائم بينهما الى أن يرث الله الأرض ومن عليها[4].

ومن هنا بدأت أولى أفكاره التحررية، كذلك حقيقة اللا مساواة في مجتمع يحتقره لاختلاف اللون لا غير[5] بصرف النظر عن مستواه العلمي والثقافي، هو في نظر الفرنسي زنجي قبل أي شيء اخر حيث يقول: عندما أتحدث الى من يحبونني يقولون إنهم يحبونني على الرغم من لوني وحيثما أتحدث الى من يكرهونني يعتذرون بأنهم لا يكرهونني بسبب لوني وفي كلتا الحالتين أجدني حبيس الحبقة اللعينة إياها[6].

---

[1] اكرام بن عيسى، مرجع سابق، ص83.

[2] فرانز فانون، معذبو الأرض: تر: سامي الدروبي، جمال الاتاسي، مدارات للأبحاث والنشر، ط2، يناير 2015م، ص08.

[3] بوعلام بلقاسمي واخرون، موسوعة أعلام الجزائر 1954-1962م، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007م، ص126.

[4] عبد المجيد عمراني، مصدر سابق، ص68.

[5] عماد الدين طهيري، الكولونيالية وخطاب التحرر في فلسفة فانون "فانون وتثقيف الثورة الجزائرية"، جامعة أبي بكر بالقايد تلمسان، الجزائر، ع6، جوان، 2017م، ص60.

[6] ديفيد كوت، مصدر سابق، ص35.

بالرغم من التمييز الذي عايشه فانون طيلة مسيرته الدراسية وخاصة في فترة دراسته في ليون إلا أنه كان متميزا محبا للمعرفة والبحث في مجالاتها محاولا بذلك تحقيق المساواة بين الفرد الأسود والأبيض، وأنه لا فرق بينهما وحيث تجلى هذا في عدد من كتاباته.

وفي عام 1951 أنهى أطروحته وحضر الامتحان الداخلية لمستشفيات الطب النفسي، وتزوج سنة 1952، رزق بولد اسمه أولفيه، كما أنهى تخصصه مع الدكتور الاسباني "توسكيل[1]، وقد ساعده كثير في تطوير معارفه في العلاج الاجتماعي[2].

كان فانون ذو شخصية مميزة، حيث يقول محمد الميلي: كان واضحا أن الرجل مثقف ثقافة عالية، وأدهشني ذلك من طبيب أخصائي في علم النفس، فقلت له: إن من يسمعك تتحدث يتصور أنه أمام أديب أو فيلسوف وليس أمام طبيب.

ابتسم وقال لي: فعلا، لقد درست الفلسفة وأنا محبا فيها، وقد فكرت حينا من الزمن في مواصلة دراستي العليا بالفلسفة لكي فضلت ميدانيا عمليا أكثر التصاقا بمشاكل الحياة اليومية[3] وفي سنة 1953 نجح فانون في مسابقة الالتحاق مديكا Médicat لمستشفيات الأمراض العقلية، والتمس منصبا في مدينة البليدة جوان فيل "والذي سبق أن عرض عليه من الوالي العام للجزائر، ويعد هذا المستشفى من أهم مستشفيات المنظومة الطبية الفرنسية والأهم من نوعه على مستوى افريقيا، وقد عين مديرا للعلاج العقلي"[4].

---

[1]توسكيل: طبيب مجدد من الجمهورين الإسبان المقيمين في فرنسا والذي ترك أسلوبه في العلاج أعمق الأثر في فانون (للمزيد ينظر الى: فرانز فانون (معدو الأرض)، المصدر السابق، ص8.

[2]سليمة كبير، مرجع سابق، ص11.

[3]محمد الميلي، مصدر سابق، ص11.

[4]سليمة كبير، مرجع سابق، ص12.

أهم مؤلفاته:

ترك فانون ورائه مؤلفات قيمة خلدت اسمه في تاريخ البشرية حيث يقول "تايجل سي غيسون" عن فانون أنه لم يكن من الصعب تصنيف فانون، فهو كان موضع تصنيفات لا تحصى، تتراوح بين الملك والفيلسوف لإفريقيا وتبنى العنف، واعتبر سارتريا، وماركسيا وهيغليا ومعتنقا لمذهب الزنوجة، واشتراكيا وداعيا للوحدة الافريقية، ومؤسسا لمدرسة ما بعد الكولونيالية، لكن من الصعب تحديد أصالة فانون لقد ترك لنا عدة كتب ومقالات مهمة ودراسات فكرية متميزة، وكتب عن مناهضة الاخرين في القرن العشرين الهمت كتاباته ومواقفه كثير من حركات التحرر في أرجاء العالم لعقود كثيرة[1].

كتاب بشرة سوداء وأقنعة بيضاء:

وهو أول كتاب له، بين فيه تأثيرات العنصرية في شخصية الزنوج المغلوبين على أمرهم وتكمن قوة الكتاب في تمكن الكاتب كأخصائي مثقف صدر عام 1952 في باريس ولفت الأنظار[2]كما عدد أثار الاستعمار والعنصرية وتحدث عن العقد وبين الاضرار النفسية للتعبير العرقي على المستعمر والمستعمر على حد سواء، وذلك من خلال دراسات أقامها على مرض من كلا الطرفين[3] ويبرز فانون محاولة تخلص الزنوج من عقدتهم اتجاه البيض من خلال ارتدائهم اللباس الأوروبي واخر الموضات واستعمال الأشياء التي يستخدمها ومماثلته في الأشكال الخارجية للتحضر واستعمال لغة الأوروبي وكل هذا محاولة منه لكي يشعر بأنه

[1]علي قيصر. فرانز فانون المعذبون في الارض. دورية الاستغراب. المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية. بيروت.ع12. 2018. ص18.

[2]سليمة كبير، مرجع سابق، ص23.

[3]فاطمة ديلمي، تفكيك الخطاب الكولونيالي واسقاط الأقنعة قراءة في فكر فرانز فانون، مجلة الكلم، كج 6، ع1، 2016، ص149.

متساوي بالأوروبي، ويرى فانون في هذا السلوك أنه أحد الأساليب لتلخيص الزنجي من عقدته ويشبه اتقان لغة الأبيض بالمفتاح الذي يفتح له الأبواب المغلقة في وجهة.

لم يتلخص فانون من عقدته وشعوره باحتقار الأوروبي الأبيض له رغم انخراطه في الحركات اليسارية واحتكاكه بمحرري مجلتي Présence African و Esprit ورغم ثقافته العالية ونضالاته من أجل انتصار الفكرة الشيوعية التي يؤمن بها، ولعل تتأخى الطبقة العاملة دون أي تميز في اللون أو العرق، ويبدو أن فانون قد وصل الى درجة اليأس لتخليص الزنجي من عقدته ما دام من المستحيل عليه تغيير بشرته السوداء[1].

ومنه نلتمس أن فانون كان يدعو لمبدأ الاتحاد والمساواة بين الأبيض والأسود، باعتبار هذا الأخير مواطن فرنسي لكنه يصطدم يواقع x مفر منه فالأسود لا يمكن أن يكون مثل الأبيض بحكم ثقافته ولكن بسب لونه وهو ما يبرزه قوله: "إن اليهودي يصبح غير محبوب ابتداء من وقت التعرف عليه أما بالنسبة الى فليس لي أية فرصة في أن أمر دون أن أعرف أنا محدد من الخارج، فأنا لست عبدا للفكرة التي يحملها الاخرون في لكني عبد لصورة مظهري"[2].

والواقع ان الأضواء سلطت على فانون مباشرة بعد تأليفه لهذا الكتاب "بشرة سوداء، أقنعة بيضاء) وكان لهذا الكتاب ردود فعل كثيرة في الأوساط الغربية التي امتلأت انفعالا وشحنة وأبت إلا أن تصرخ دون هوادة أن فانون لها، ولا يمكنه بذلك أن يثور عليها[3].

العام الخامس للثورة الجزائرية في سنة 1959 أصدر كتابه الثاني بعنوان الثورة الجزائرية في عامها الخامس وجهه الى الديمقراطيين الفرنسيين لتفسير واثبات عدم إمكانية تراجع الجزائر نحو استقلالها ولم يكتف بمجرد كتابة دعائية ذات أحكام لامعة وجذابة بل منح

[1] رابح لونيسي، فرانز فانون والبحث عن الخلاص النفسي في الثورة الجزائرية، مجلة عصور، مج1، ع1، 2002، ص19.
[2] محمد الميلي، مصدر سابق، ص64.
[3] عبد الحميد حفيري، مرجع سابق، ص19، 20.

تحليلا نفسيا ومعلومة حول الكفاح الجاري، كما قسم فانون هذا الكتاب الى خمسة فصول واستخدم كل طاقته وامكانياته لصالح الثورة الجزائرية[1] كما يحلل فانون في هذا الكتاب التغيرات التي أحدثتها الثورة في المجتمع الجزائري[2]،بحيث أن هذا الكتاب عبارة عن دراسة تحليلية شملت خمسة فصول تحدث فيها عن النظرة الجديدة للفرد الجزائري وما أحدثه الكفاح التحريري بحيث استعرض فانون في الفصل الأول عن محاولة الاستعمار الفرنسي لتحطيم مقومات الشخصية الجزائرية لأنه يعلم كل العلم تمسك الشعب الجزائري بمقوماته الشخصية ويعتبر المحافظة عليها مسألة حياة أو موت بحيث حاول الاستعمار ضرب المجتمع الجزائري في صميم بنيته أي " المرأة " حيث عمل على وضع أساليب تجردها من عاداتها ودينها وذلك عن طريق نزع الحجاب " الحائك " ولكن بكل محاولاته فشل لأنه لا يعلم مدى قوة شخصية الشعب الجزائري بحيث اتخذت المرأة هذا الأسلوب بنحو إيجابي واستعملته كوسيلة للكفاح مما أدخلها في صميم الثورة بحيث لعبت أدوارا مهمة.

أما في فصل أخر تحدث فانون على أبرز التحولات الجذرية التي وقعت في الأسرة الجزائرية ومما أحدثه الكفاح التحريري في نزع بعض العادات السليطة أبرزها الأبوية المطلقة حيث أحدثت الثورة والروح الوطنية الانطلاقة الحقيقية في التغير بحيث ينطلق الابن مدافعا عن رأيه ورغبته فالكفاح مجادلة رأي والده الذي كان من بل صارما متسلطا، كذلك التغيرات التي مست المرأة ومشاركتها في العمل الثوري في الجبال وتقمصها عدة أدوار، كذلك نجد التلاحم لقوى بين الأزواج ومما أحدثته الثورة من تقوية الروابط.

كما تحدث فانون في فصل آخر على مدى أهمية الإعلام في الثورة وعن إدخال التقنية الجديدة ألا وهو براديو ومما أحدث من تغيير كبير في صدى الثورة سواء على مستوى الداخلي بحيث أصبح الفرد ملزوما قناة هذه الوسيلة في معرفة ومواكبة تطور الأحداث الثورية من

[1] رشيد خطاب، مرجع سابق، ص218.

[2] بوعلام بلقاسم، مرجع سابق، ص128.

خلال الاستماع إلى إذاعة صوت الجزائر الحرة المكافحة، كما تحدث فانون عن الطب والنظام الاستعماري في الجزائر والأقلية الأوربية المتواجدة في الجزائر.

من خلال تحليلات فانون لعدة جوانب مست المجتمع الجزائري في فترة الكفاح في هذا الكتاب والذي له قيمة تاريخية متمثلة في إبراز الملامح للشخصية الجزائرية بحيث أن فانون تعمق في عمق المجتمع الجزائري ومدى شعوره القومي اتجاه تحرير بلده بحيث صور فانون المجتمع وذلك من خلال مزجه في تحليله على اهتماماته الفكرية المؤيدة للتحرر من الاستعمار وكذلك عمله السياسي في الجزائري وما واكبه من تطورات.

كما اعتمد فانون الدقة وتحليل وغياب الأسلوب الطبقي، كما ساهم فانون في كتابته لهذا الكتاب في تعريف القارئ بمرحلة تاريخية مهمة أثرت في المجتمع الجزائري إلى السير نحو الاستقلال

-معذبو الأرض:

الذي املاه على زوجته في أيامه الأخيرة، حيث كانت تطبع كل ما يمليه عليها على الالة الراقنة بحضور أصدقاء كان يستدعي لحضور، فرغ منه في شهر جويلية 1961 وطبع في عام 1962 ابان وقف إطلاق النار بين الجزائر وفرنسا وفتح مقدمته سارتر[1] كما أن الفكرة الأساسية التي يدور عليها هذا الكتاب، هو أن العنف هو السبيل الوحيد للقضاء على الاستعمار، عن هذا العالم الاستعماري الذي قام على العنف لا يمكن الخلاص منه إلا بالعنف[2].

[1]رزيقة بن ربيع، العرق والثقافة في كتابات فرانز فانون مقارنة نقدية ثقافية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة مولود تيزي وزو، 2016، ص82، 83.

[2]فرانز فانون (معذبو الأرض)، مصدر سابق، ص14.

من أجل افريقيا:

ظهر بعد وفاته، فهو مجموعة مقالات كتبها فيما بين ذلك وظهر معظمها في صحيفة المجاهد[1] نلاحظ من خلال كتابات فرانز فانون أن النداءات التي كان يعبر عنها من خلال تدويناته تخطت الكتابة عن الفروقات بين الأبيض والأسود، وإنما تعمق الرجل المثقف من خلال احتكاكه بالشعوب المستعمرون بالكتابة عن واقع تلك الشعوب، كان شعار فانون دائما مناديا بالمساواة والحرية وتحرير الانسان من العبودية حيث كان دائم الشعور بالمسؤولية باعتباره مثقف وجب عليه الدفاع عن الشعوب المستعبدة.

كان فانون يعتقد بأن المثقفين إذا لم ينجحوا في خدمة القضايا على هذا المستوى الشعبي لم يستحقوا هذه التسمية وصاروا خونة للأمة العقلية التي جملتها لهم البلاد، فإما أن يبلغ صوت المثقف اذان الجماهير وإما أن يظل دائما في قام الفاشل الذي لا يحقق رسالة ولا يخدم قضية ولا يفيد احتوته من قريب أو من بعيد[2]

[1] محمد الميلي، مصدر السابق، ص45.

[2] عبد الحميد حفيري، مرجع سابق، ص23.

المبحث الثالث: علاقته بالثورة الجزائرية:

1-فانون بالمصحة العقلية بالبليدة1953 -1956:

لقد لقت الثورة الجزائرية دعم من قبل عدة أصدقاء ومثقفين سواء من الجزائريين أم الأجانب الذين ساندوها ودافعوا عن حرية واستقلال شعبها، لكن الشيء الملفت للنظر أنهم من حلب المحتل نفسه الذين يعتبرون أنفسهم فرنسيين فماقوا بفضح الاستعمار من خلال كتاباتهم وهذه النقطة تعتبر خدمة للثورة الجزائرية ومن بين أولئك الأصدقاء فرانز فانون، وقد قدم فانون طلب من أجل الحصول على منصب في مستشفى افريقي من سنغور الذي لم يجبه، قبل عرض من الولاية العامة للجزائر، والتحق بمستشفى الأمراض العقلية بالبليدة عام 1953م، الذي يعتبر أهم مستشفى من نوعه في افريقيا[1]، ويتحدث فانون عن اختياره للجزائر حقلا لعمله، فيقول: "وما إن تخرجت من الجامعة حتى اخترت الجزائر العظيمة حقلا لعملي، وما كان اختياري للجزائر حقلا لعملي، إلا أنها التي أجريت فيها أول تجربة لإهدار الحرية، وبإهدار الحرية في الجزائر أهدرت حرية الشعوب الأخرى، في الدنيا الملونة...وإني مؤمن أن القضاء على السرطان الأبيض في الجزائر، هو القضاء عليه في نفس الوقت في كل ربوع العالم، وهذا هو السبيل الأمثل لخدمة الإنسانية"[2].

في المصحة العقلية جوانفيل يشتغل منصب طبيب ورئيس مصلحة فكان القسم الذي يشرف عليه يتكون من 200 جزائري و65 مريض أوروبي[3]، وهذا فارق كبير، إن دل على شيء فهو يدل على حجم المعاناة لدى الجزائريين والحالة النفسية المتدهورة جراء ما يشاهد الجزائري كل يوم من أعمال عنف، واضطهاد وخوف ومختلف الأعمال الإنسانية التي يعيشها في مجتمعه وحال وصول فانون الى العيادة قام باكتشاف أمور كثيرة صدمته بفظاعتها حياة

[1]محمد الميلي، مصدر سابق، ص21.

[2]محمد الصالح الصديق، الرافضون عبر التاريخ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2005م، ج1، ص14.

[3]سليمة كبير، مرجع سابق، ص10.

داخل المصحة العقلية معاناة نفسية لا توصف[1]، اصدم بصعوبات جهة لأن الأساليب التي جريت مع الأوروبيين لا يمكن أن تنجح هي نفسها مع مرضى جزائريين تختلف بيئتهم الاجتماعية من البيئة الأوروبية وشيئا فشيئا اكشف فانون ان هذا الاختلاف يرجع الى عوامل وأوضاع سياسية كما اكتشف عوامل الجنون التي ترجع الى الوضع السياسي للسكان المحليين، أي أصناف المرض العقلي التي تسبب فيها الاستعمار[2] فقد كانت طرق علاجية تعود للعصور الوسطى أي ممارسة ربط المرضى بالصدار ووضعهم في زنزانات بالقوة وعزلهم بعد تقييدهم وفصلهم عن بعضهم حسب انتمائهم إذا ما كانوا مسلمين أو أوروبيين[3].

حاول فانون تطبيق طريقة توسكيل في العلاج الاجتماعي لكنه اصطدم بالعديد من الصعوبات[4]، وقد أراد اظهار ما يعرف عن هذا الاستعمار للعيان، ومكافحته عن طريق مساعدة الضحايا على تمالك أنفسهم خلال وعيهم بسبب مرضهم، ثم مشاركتهم في الكفاح ضد مسببات هذا المرض[5].

كان فانون دائم الاحتكاك بالجزائريين ينظم الورشات وينشط فريق كرة القدم وجريدة محلية، ويجول في منطقة المتيجة لتفهم التقاليد السائدة للتكفل بالاضطرابات العقلية، وقد وقع صدام بينه وبين السلطات الفرنسية بسبب هذه النشاطات[6].

كانت معاملة الجزائريين له سببا في تعلقه الكبير بالمجتمع الجزائري لأنه وجد معاملة مختلفة عن تلك التي عهدها من قبل حيث كان السكان في المارتنيك يعتبرون الرجل الأبيض

---

[1] عبد القادر غراب، فرانز فانون رجل القطيعة، تر: عبد السلام يخلف، دار بهاء للنشر والتوزيع الجزائر، ط2، 2003، ص20.

[2] محمد الميلي، مصدر سابق، ص21.

[3] عبد القادر غراب، مرجع سابق، ص20.

[4] رشيد خطاب، مرجع سابق، ص173.

[5] سليمة كبير، مرجع سابق، ص10.

[6] سليمة كبير، مرجع سابق، ص12.

الأذكى والأقوى والأفضل والأحسن دائما فيما الرجل الأسود هو العبد الضعيف والأمي المتخلف[1].

لقد كان فانون شاهد على انطلاق الثورة التحريرية، ولم يكن يعلم عنها شيء ولكنه اهتز طربا بالانطلاقة الشعبية الجبارة، ورأى فيها مهارة التخطيط وحكمة التدبير، واصرار الشعب على الحياة أو الموت...وكان بحكم عمله وإقامته بالجزائر يتابع باهتمام بالغ أحداث الثورة وتطوراتها السياسية والعسكرية، وكان يشاهد بعينه ما تقوم به القوات الفرنسية من أعمال وحشية لا يتصورها العقل، فتطورت بكراهية للاستعمار، من مجرد بغض واحتقار الى إصرار وعمل وموقف إيجابي يفرضه عليه ضميره وحبه للجزائر وتعطشه للحرية[2].

لم يقتصر عمل فانون على الصحة ومعالجة المرضى بل كانت له نشاطات سياسية محليا، في الفرع المحلي لجمعية الصداقة الجزائرية بمساندة المعتقلين كما كانت له نشاطات سرية، حيث كلفه النظام بالجرحى والمناضلين المصدومين من جرائم القمع، وشارك كذلك في جمع الأدوية وإرسالها للمقاتلين في الجبال[3].

وفي أواخر 1956م، استقال من منصبه كطبيب نفسي، في رسالة[4] مفتوحة موجهة الى الوالي العام "لاكوست"[5] للتنديد بالفظائع الاستعمارية، والاستقالة من منصب في الوقت نفسه الذي تلقى فيه قرار طرده من التراب الوطني في مطلع سنة 1957م[6].

---

[1] عبد القادر حسين ياسين، مرجع سابق، ص4.

[2] محمد الصالح صديق، مرجع سابق، ص241.

[3] نوارة حسين: "المثقفون الجزائريون بين الأسطورة والتحول العسير، سنوات من الجمر، سنوات من النار، تر: سعيدي فتحي، دحلب، موفد للنشر، الجزائر، 2013، ص230.

[4] أنظر الملحق رقم 01.

[5] روبرت لاكوست: (1898–1989م)، سياسي اشتراكي فرنسي تولى العديد من الوزارات من 1944م كان اخرها وزير مقيم بالجزائريين (1956–1958م)، (ينظر الى: هنري علاق، "عودة الاستيطان، حوار مع جبل مارتان، تر: مصطفى وليد عبد الخالق، أمدوكال للنشر، الجزائر، 2013، ص91.

[6] رشيد خطاب، مرجع سابق، ص215.

2-قرار انضمامه للثورة الجزائرية وإسهاماته بها1956-1961:

لم يكن انضمام فانون للثورة الجزائرية وليد صدفة بل جاء بعد عدة مواقف واجهته أثناء فترة تواجده في الجزائر وعمله كطبيب في مستشفى الأمراض العقلية بالبليدة، حيث استغرب فانون من عمل الحكومة الفرنسية جبال رغبة الجزائريين بالاستقلال ومطالبتهم بالحرية، ومن هنا صارت مواقف فرانز فانون المعادية للاستعمار واضحة، فأقام فانون الصلات مع حركة الصدقات الجزائرية[1] التي طلبت منه الاعتناء ببعض المقاتلين الذين يعانون من الأمراض النفسية التي تسبب فيها الاستعمار[2].

كان تقرب فانون المناضلين الجزائريين لغرض واحد وهو إقامة علاقات مع المحاربين الوطنيين، ونظرا لقرب مكان عمله من مواقع تواجد ثوار الولاية الرابعة لجيش التحرير الوطني، ثم ضبط الاتصال بصفة سريعة سنة 1955م، مع الثوار من خلال مساعدين والدكتور بيارشولي[3]، استقبل فانون الثوار وعالجهم بصفة سرية في مستشفى البليدة، وكان يستقبل لعلاجهم[4].

كلف بمهمة الاعلام في جريدة المجاهد (El Moudjahid-1957-1961م) الناطقة الرسمية باسم الثورة الجزائرية حيث كان موقفه السياسي يتمثل في تحقيق الوحدة الافريقية التي يستطيع العمل مع اسيا وأمريكا اللاتينية، واستقلالها السياسي والثقافي والاقتصادي مع أوروبا

---

[1] حركة الصدقات الجزائرية: هي جمعية إنسانية تهدف لتقديم الدعم المادي لعائلات المعتقلين السياسيين وموجهة من طرف ناشطين وطنيين لهم علاقة مع الثوار العاملين في جوار البليدة (للمزيد ينظر الى: فرانز فانون معذبو الأرض، مصدر سابق، ص12).

[2] نفسه.ص12

[3] ببارشولي: من مواليد الجزائر وهو طبيب فرنسي مناضل في صفوف جبهة التحرير الوطني بالعاصمة تعرض لمضايقات من طرف السلطات الفرنسية حيث سجن بين ذلك في 1963م، ثم الاعتراف بالجنسية الجزائرية توفي عام 2012م، (المزيد ينظر الى: رشيد خطاب، مرجع سابق، ص185، 186م)

[4] نفسه، ص215.

والولايات المتحدة الأمريكية وفي هذا المعنى أكدت سيمون دي بوفوار قائلة: "كان (فانون) يحلم بالوحدة الافريقية المتحررة من كل استغلال أجنبي"[1].

عمل أيضا فانون في المجموعة السياسية العاملة بقسم العلاقات الخارجية ضمن مصالح الحكومة[2] حيث تم الاعتماد على شخص "فانون" باعتباره مناضلا ملتزما ومعبرا عن أفكارها[3]، فعين كعضو في الوفد الجزائري الى مؤتمر "أكرا" غانا" ديسمبر 1958م، الذي حضرته ثمانية دول مستقلة وهي مصر، الحبشة، غانا، ليبيا، تونس، المغرب، ليبيا، السودان، وكان من جملة ما يحث فيه مصير البلاد التي تكافح من أجل استقلالها والقضية الجزائرية ومشاكل أخرى[4].

تعد سنة 1960م هي السنة الافريقية بالنسبة للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية حيث عين فرانز فانون ممثلا للحكومة المؤقتة، وكان من قبل هذا هو الناطق الرسمي للوفد الجزائري للعديد من المؤتمرات الافريقية[5].

كما لعب فرانز فانون دورا كبيرا في العمل السياسي والتحسيسي للقبائل المالية ومع مناضلي الحزب الديمقراطي الافريقي وحزب المؤتمر الافريقي دون أن يدع مجالا وثغرة للاستعمار كي يوقع الثورة قس صراعات مع الجيران مالي، ومع الجالية الجزائرية المتمركزون في مالي والنيجر[6].

لم يساند فانون الثورة بالعلاج وتزويدها بالأدوية ونشاطه السياسي والدبلوماسي والإعلامي فقط، وإنما قدم لها دعما وفيرا من خلال انتاجه الأدبي، بحيث كتب من وطنه الأم

---

[1] عبد المجيد عمراني، مرجع سابق، ص69، 70.

[2] بوعلام حمودة، الثورة الجزائرية ثورة أول نوفمبر 1954 معالمها الأساسية، دار النعمان، 2012م، ص500.

[3] عبد الله مقلاتي، البعد الافريقي للثورة الجزائرية ودور الجزائر في تحرير افريقيا، ط1، الشروق، الجزائر، 2009، ص223.

[4] المجاهد، مؤتمر أكر الافريقي، ع34، 24 ديسمبر 1958م، ج2، ص4، 5.

[5] بيار وكلودين شولي، ...اخترنا الجزائر صوتان وذاكرة، تر: زينب قبي، منشورات البرزخ، 2013م، ص238.

[6] عبد المجيد وجلة، التفتيت السياسي للجزائر في الاستراتيجية الفرنسية ودور الثورة في الحفاظ على الوحدة الكاملة، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، مج1، ع2، 2014، ص08.

والعالم الثالث وعن القوة الاستعمارية الاستثمارية، كما كتب عن وطنه الثاني الجزائر وعن ثورتها المباركة من خلال مؤلفاته العام الخامس للثورة الجزائرية، سوسيولوجيا الثورة، معذبو الأرض فقد استخدم فانون كل طاقته وامكانياته لصالح الثورة الجزائرية الى غاية نهاية حياته.

3-جهوده في تشكيل الجبهة الجنوبية1960-1961:

كانت الثورة الجزائرية بعد انضمام فانون اليها قد تجاوزت النطاق المحلي وظهر اهتمام الأفارقة بها وتمثل ذلك الاهتمام في قيام بعض المناضلين الافريقيين بالاتصال بقيادة جيش التحرير الوطني طالبين المساعدة حتى يتمكنوا من الاعداد للثورة المسلحة في بلادهم وتمس فانون عندما كان يشتغل بجريدة "المجاهد" هذا الجانب في الثورة الجزائرية وهو انفتاحها على افريقيا[1] هنا حاولت فرنسا عزل الثورة عن الشعب ومحاصرتها تدريجيا، طمعا في القضاء عليها حيث بدأت هذه الفكرة تراود الفرنسيين من السنة الأولى من عمر الثورة التحريرية[2].

ومنذ إعلان الجنرال ديغول عن سياسة إدماج الجزائر في تنفيذ مخططاته الرامية للقضاء على الثورة فقد واجهت الثورة التحريرية صعوبات جهة حيث تعرضت الولايات الداخلية لصعوبات وتضييق كبير بسبب سياسة فرنسا الجهنمية في قمع الثورة فكان إغلاق الحدود بخطى شارل وموريس اثار سلبية عميقة على الوحدات المقاتلة في الداخل[3].

وهنا أصبحت مسألة التسليح من أخطر التحديات التي واجهتها الثورة الجزائرية منذ بدايتها وأكثر المراحل تعقيدا وأخطرها على استمرارية الثورة الجزائرية[4].

---

[1]عبد الحميد حفيري، مرجع سابق، ص23.

[2]نفسه، ص68.

[3]عبد الله مقلاتي، مرم محفوظ، الجبهة المالية النيجيرية ودورها الاستراتيجي في الثورة الجزائرية، ص16.

[4]محمد بوشان، استراتيجية الثورة في مواجهة أزمة التسليح (58، 62)، دار بوسعادة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص07.

ومن هنا بدأت فكرة توسيع الكفاح، فقد وضعت الجبهة نصب أعينها توسيع جبهة المواجهة مع العدو والى أقاصي الصحراء وإقامة جبهتين واحدة على الحدود الليبية–الجزائرية والأخرى عن الحدود المالية النيجيرية–الجزائرية والهدف منها إشراك سكان المنطقة الجنوبية الصحراوية في الكفاح التحرري والتأكيد على البعد الافريقي للثورة الجزائرية ومواجهة مخطط فصل الصحراء وفتح شبكات للتموين والاتصال بالداخل[1].

لقد كان هناك اختلاف حول من هو صاحب الفكرة لكن شهادة محمد الشريف مساعدية[2] حاسمة حيث قال "كان لابد من إرسال بعثة الى الجنوب والى الدول المجاورة لنا على الحدود، وكانت هذه البعثة من الدكتور فرانز فانون والضابط فرحات من الجنوب الجزائري وكان لدينا مجموعتان واحدة اسمها مجموعة العمل والأخرى مجموعة الاتصال وتم تكييف هذه الأخيرة بعمل اتصالات وأختير الدكتور فرانز فانون لأنه كان على قرب بالمفكرين الأفارقة وبكثير من الإطارات الإفريقية...."[3].

وبعد تعيين فرانز فانون كسفير للجزائر في غانا في مارس 1960، وخلال إقامته هناك لاحظ إمكانية أخرى لتدعيم الداخل عن طريق حدود الجنوب أي عن طريق حدود مالي ولذلك اتصل بالمسؤولين في مالي وقدم اقتراحاته للمسيرين الجزائريين[4].

ويذكر فانون بحماسة بأنه وبعد الوصول الى "غاو" ويتضح دقائق شرع في العمل فقد دون فانون تفاصيل الرحلة والمهمة في وثيقة وبعد المعاينة والوقوف على جغرافية المنطقة وإمكانياتها السياسية والعسكرية رجع أحد أعضاء الوفد الى تونس بتقرير مفصل حول الوضع

---

[1] عبد الله مقلاتي، مرجع سابق، ص75.

[2] محمد الشريف مساعدية: (1924–2002م) قيادي في القاعدة الشرقية وفي الجبهة الجنوبية قام بدور بارز في توسيع نشاط الجبهة الجنوبية، أصبح مسؤولا لحزب جبهة التحرير الوطني بعد الاستقلال وواصل خدمته وأصبح وزير سنة 1979م، (للمزيد ينظر الى: عبد الله مقلاتي، موسوعة اعلام وأبطال الثورة الجزائرية، وزارة الثقافية، الجزائر 2013، ص346.

[3] كديدة محمد مبارك، مرجع سابق، ص566.

[4] فرانز فانون، معذبو الأرض، مصدر سابق، ص183.

وعلى ضوء هذا التحرير الإيجابي قررت قيادة الثورة فتح جبهة جنوبية على الحدود المالية النيجيرية ووضعت كل الإمكانيات لإنجاحها[1].

أما العوامل التي ساعدت فانون في إنشاء الجبهة الجنوبية أنه في مدينة "غاو" حصلوا على قائمة بأسماء الجزائريين المتواجدين في المنطقة ومواقفهم من الثورة، مما سهل عليهم أكثر ما يغني أن القوة البشرية التي تعتمد عليها الجبهة موجودة وجاهزة[2]، وبالتالي إمكانية الاستفادة منها في جمع المؤونة وتسهيل المرور بين مالي والجزائر والاستفادة من خيراتهم للسير في المنطقة.

ويحدد فانون الهدف من الجبهة الجنوبية في ثلاث نقاط.

1-إما تزويد القوى الموجودة بعد في الصحراء.

2-إما تزويد الولايتين الخامسة وما تبقى من السادسة.

3-وإما إنشاء سلسلة من خطوط الهجوم تسير في اتجاه عمودي بالنسبة للأطلس التلي سلسلة تمكن أن تتصل وتعمل عملا منسقا مع الولايات الموجودة[3].

فالبرغم من ميل فانون للخيار الأخير إلا أنه أشار الى إمكانية تحقيق الأهداف الثلاثة مجتمعة[4].

نستنتج مما سبق أن فانون كان له نشاط واسعا في الثورة الجزائرية حتى قبل الانضمام لها، فقد خدمها أثناء عمله في المصحة العقلية أين وجد المستعمر مثلا يشبه الأبيض والأسود في المارتنيك فكان شاهد على ألام الشعب الجزائري والمشاكل التي يتخبط فيها، إن البعد

---

[1] عبد الله مقلاتي، رمرم محفوظ، مرجع سابق، ص38.

[2] كديدة محمد مبارك، مرجع سابق، ص666.

[3] عبد الله مقلاتي، الجبهة الجنوبية لجيش التحرير الوطني بمالي، منشورات ANEP الجزائر، 2017م، ص32.

[4] كديدة محمد مبارك، مرجع سابق، ص667.

الإنساني لشخصية فرانز فانون هو من جعله ينظم للثورة الجزائرية، التي دعمها أثناء نشاطه في جريدة المقاومة ثم المجاهد من خلال مقالاته النافذة للاستعمار، وأثاره على شعوب المستعمرات ومن خلال مساعدة المرضى المجاهدين والمساهمة في شفائهم ومن خلال الدور الدبلوماسي الذي لعبه في المؤتمرات الافريقية باعتباره أداة فعالة بحكم لونه الأسود الذي يعبر عن افريقيا، ومن خلال ثقافته الفرنسية المؤثرة على المثقفين الفرنسيين كما أن لآرائه دورا هاما خاصة في إنشاء الجبهة الجنوبية التي فكت الحصار عن الثورة التحريرية ومدها بالسلاح وكل ما تحتاجه.

مرضه ووفاته 1960-1961:

أ-مرضه 1960:

في ديسمبر 1960 أصيب فرانز فانون بسرطان الدم وكان ذلك خلال إقامته بتونس[1] فقامت جبهة التحرير بنقله الى موسكو للعلاج لكن دون جدوى حيث عاد الى تونس دون باقة أمل في الشفاء[2] وصار يعرف وهو في الخامسة والثلاثون من عمره أنه سيموت، وفي أفريل 1961 كان فانون مريضا ومحكوم عليه من طرف الأطباء لخطة كتابة المعذبون في الأرض[3] فأخذ يملي ويقدم عروضا وشروحا ونصوصا لزوجته التي كانت تطبعها على الالة الكاتبة[4] حيث يقول: "فهمت إذا أنني لن أعيش أكثر من ثلاث أو أربع سنوات فكان يجب علي أن أسرع في أن أقول وأفعل الحد الأقصى"[5].

[1] اكرام بن عيسى، مرجع سابق، ص92.

[2] عبد الله مقلاتي، موسوعة أعلام وأبطال الثورة الجزائرية، وزارة الثقافة، الجزائر، 2013، ص292.

[3] عبد القادر جغلول، مرجع سابق، ص409.

[4] سليمة الكبير، مرجع سابق، ص21.

[5] عبد القادر جغلول، مرجع سابق، ص409.

وبعد هذه المعاناة مع مرض السرطان الذي أنهك جسده ثم نقله من طرف جبهة التحرير الوطني الى الولايات المتحدة الأمريكية لأمل الاستفادة من تطور الأبحاث العلمية هناك، ولكن لم يكن بإمكانهم فعل الكثير حيث بقي فانون يعاني من مرضه في المستشفى[1].

ب-وفاته 1961:

في 06 ديسمبر 1961 توفي فانون بواشنطن وعمره ستة وثلاثون سنة، وفعلا فالجزائر لم تنس نضال المجاهد فانون أثناء الثورة التحريرية فقامت بإنشاء مؤسسات باسمه[2].

ولقد أعرب فرانز فانون في وصية مكتوبة، عن رغبته في أن يدفن في الجزائر مع الشهداء الذين كان يعتبرهم اخواته في الكفاح، وتم نقل جثمانه من واشنطن الى مطار العوينة بتونس العاصمة أين كرمه الوفد الخارجي للحكومة المؤقتة بأكمله على رأسه "كريم بلقاسم"[3] وزير الدفاع وفي اليوم الموالي تم تنظيم حفل تذكاري بمستشفى شاول نيكول أين اشتغل فانون لمدة طويلة، ثم توجيه موكب الجنازة نحو "غار الدماء" في الحدود التونسية.

[1] عبد القادر حسين ياسين، مرجع سابق، ص26.

[2] عبد المجيد عمراني، مرجع سابق، 68، 69.

[3] كريم بلقاسم (1922-1970): المولود بقرية تزيري عيسى الجبلية التابعة لبلدية ذراع الميزان، من عائلة ثرية في المنطقة انخرط في حزب الشعب الجزائري عام 1945، الذي كان يدعو للاستقلال التام للجزائر عن فرنسا شارك في اجتماع 22 جوان 1954م، الذي قرر فيه اشعال الثورة (ينظر الى: بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر من 1830 الى 1989م، ج2، د ط، دار المعرفة، الجزائر، 2006، ص208-218).

دفن فانون في 12 ديسمبر 1961 في غابة سيفانا (بالقرب من قرية عين السلطان، التي تنتمي اليوم الى التراب التونسي) الى جانب أربعة شهداء من الثورة الجزائرية[1] وتنفيذ الوصية دفن في أرض الجزائر (عين الكرمة[2])[3].

تولت قيادة جبهة التحرير الوطني نقل جثمانه، وأقيمت له جنازة عسكرية ولف ضريحه بالعلم الجزائري[4] وبعد ترسيم الحدود مع تونس سنة 1965 تم نقل رفات فانون الى الجزائر مرة أخرى ودفن بمقبرة عين الكرمة بولاية الطارف وقد أعطت له ولزوجته الجنسية الجزائرية واعتبرته الجزائر أحد رموز الثورة الجزائرية ومثقفيها[5]

[1] رشيد خطاب، المرجع السابق، ص218.

[2] عين الكرمة: تقع بلدية عين الكرمة بدائرة بوحجار بولاية الطارف في أقصى الشمال الشرقي للجزائر، وهي حدودية مع تونس (ينظر الى: متحف المجاهد في الطارف، ذاكرة ماحية بأكملها، الطارف 15 سبتمبر 2017).

[3] صادق سلطاني، صديق فرانز فانون من ولاية الطارف في تقرير عرض على قناة النهار الجزائرية (النشرة الإخبارية بتاريخ 01/ 02/ 2019) الساعة 12 و40 دقيقة).

[4] عبد القادر حسين ياسين، المرجع السابق، د ص.

[5] اكرام بن عيسى، المرجع السابق، ص92.

الفصل الثاني

التركيبة الاجتماعية في الجزائر خلال الثورة

المبحث الأول: تطور الأسرة الجزائرية وتغيراتها الكبرى أثناء حرب التحرير:

سنتطرق في هذا الجزائر من الدراسة التحليلية لكتاب فرانز فانون الثورة الجزائرية في عامها الخامس عن مراحل تطور الأسرة الجزائرية وأبرز التغيرات التي طرأت عليها وذلك بسبب ما أحدثته الثورة الجزائرية من أثر كبير مس قطاعات مختلفة من الحياة الجزائرية حيث يقول فانون في هذا الصدد "نريد هنا متابعة تطور الأسرة الجزائرية وتحولها وتغيراتها الكبرى بمناسبة حرب التحرير وخلال مسيرتها" بحيث تحدث فانون الى مدى الانسجام والتماسك الذي كان بين أفراد الأسرة الجزائرية وعن المكانة التي كان يحظى بها الأب داخل الأسرة ونلاحظ

أن للأب الجزائري السلطة الكاملة على أسرته وهو صاحب القرار ولا يجاد فيه حتى وإن القرار غير مرغوب فيه من طرف أحد أفراد أسرته أي لا اعتراض على أحكام الأب كذلك أي ممارسة يريد أحد الأبناء مثلا القيام بها فلابد من أخذ الإذن من الأب[1].

1-علاقة الأب بالابن: كانت سلطة الأب تفرض على الابن حتى في الكفاح بالرغم من وجود الأحزاب الوطنية والتي تحمل على نشر الوعي التحرري إلا أن لا سلطة تعلو على قرار الاب بحيث يقول فانون في هذا الصدد "والابن يلتمس الأب لشرح ويفسر ويحدد" كذلك "وجود أحزاب وطنية قبل عام 1954 فقد أدخل على حياة المواطن الأصلي الخاصة فروقا طفيفة وعملت الأحزاب الوطنية والعمل السياسي البرلماني وبث شعارات القطيعة مع فرنسا في صميم الأسرة" ولكن وحشية الاستعمار وروح الرعب التي كان يبتها في الأهالي رسخت الخوف منه في الأذهان خاصة الإباء حيث كان الخوف على فقدان أبنائهم يسيطر عليهم "إن الابن الذي كان قبل عام 1954 يتبنى موقفا وطنيا لم يكن يفعل ذلك أبدا في الحقيقة ضد رأي الأب إلا أن فاعليته كمناضل لم تكن لتبدل شيئا في مسلكه كإن في إطار الأسرة الجزائرية[2] ولكن مع اندلاع الثورة في 1954 يقف الشباب الجزائري مدافعا عن رغبته في الكفاح وتقرير مصيره

[1] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية تر. دوقان قرقوط،anep . دار الفارابي. الجزائر 2004ص101.
[2] نفسه. ص102.

ويقول فانون في هذا الصدد "وهذا ما يدعو الشاب الجزائري الى الدفاع عن موقفه والبرهان على شرعية مسلكه الذي يتبناه أمام والده" كذلك إن كلمات الابن ليست هي التي تعمل على إقناعه ولكنها أبعاد الالتزام الشعبي والمعلومات التي يتلقاها عن القمع وإذ بالاطمئنان الأبوي القديم الذي أصبح مثلوما ينهار نهائيا، ويتغمر الى صف الابن وهذه الحقبة التي يدفن فيها الأب القيم القديمة"[1] وجد الأب نفسه لا يملك ذرائع أخرى بعد صدور قرار 1956 والقاضي بالالتحاق بالمقاومين في الجبل[2].

ومن هنا نستنتج أن العلاقة التي كانت بين الأب والابن علاقة احترام بالرغم من التغير الذي أحدثته الثورة بخصوص العلاقة بين الأب والابن بحيث أصبح الابن هو الانطلاقة الأولى في تغير الأسرة ويقول فانون في هذا الصدد "الفتى الجزائري هو الذي يدفع بالأسرة في الحركة الواسعة للتحرر الوطني"[3].

2-علاقة الالية والأب:

تحتل البنت في الأسرة الجزائرية دائما مكانا وراء الابن، فالفتاة والشابة على العموم لا تملك الفرصة لكي تنمي شخصيتها ولكي تأخذ المبادرات فهي تأخذ مكانها في شبكة التقاليد المنزلية، فالفتاة في المجتمع الجزائري تكون دائما تحت وصاية الرجل وفي الجزائر بصورة رئيسية تكون قاصرة دائما والرجل يقوم بدور الوصي عليها قبل كل شيء، اخا كان أم عما أو زوجا كما أن الفتاة الجزائرية وجب عليها تجنب المناقشات مع الرجال وإلا تغضب كذلك استعرض فانون كيف تتلفت النت القيم والتقاليد من والدتها، وإنها مع سن البلوغ تتجنب الظهور أمام والدها[4] ويبحث في أمر تزويجها.

---

[1] فرانز فانون. العام الخامس للثورة الجزائرية. مصدر سابق ص106.

[2] نفسه.

[3] نفسه، ص108.

[4] نفسه، ص109.

إن حياة المرأة الجزائرية لا تتطور بحسب المراحل الثلاث المعرفة في الغرب: الطفولة، بلوغ، زواج، فالفتاة الشابة الجزائرية لا تعرف سوى مرحلتين: طفولة، بلوغ، زواج، كذلك الوضع التعليمي المنعدم والمحصور في التخلف أثر سلبا على الفتاة الجزائرية، إن الأمية والبطالة السائدان في الجزائر لا يبتغيان للفتاة الشابة أي حل اخر ويجب على المرأة العازبة في الدوار أن تتزوج وتصبح الفتاة امرأة[1].

إن مرحلة الاستقلالية للمرأة الجزائرية بدأت في الجزائر ابتداءا من عام 1955 بحيث بدأت تنتشر في المجتمع الجزائري، قصص البناء العديدات اللواتي يقضين نحبهن في الجبال أو في المدن ويودعن السجون من أجل أن تولد الجزائر المستقلة ومن هنا بدأت تتلاشى فكرة أن المرأة مكانها المنزل وتربية الأولاد فقط بل تعدت مهامها الى مهام ثورية وتفسح الفتاة الشابة المكان للمناضلة حيث بدأت الشابات في الرغبة الى الانضمام الى العمل الثوري مطالبين بالعمل بأشد المهمات خطرا أين كانت الخلايا النسائية في جبهة التحرير الوطنية طلبات الانتساب بالجملة ومن هنا تتخير نظرة الأب الجزائري والذي كان يتخوف من العار الى قبول مشاركة ابنته في العمل التحرري حيث يقول فانون "والأب نفسه لا يملك الخيار، إذ يصبح خوفه القديم من العار أحمق تماما بالنظر الى المأساة الهائلة التي يعيشها الشعب وهنا استطاعت الفتاة الجزائرية تغير نظرة الأب والمجتمع الى المرأة وأصبحت تمتلك مكانة مماثلة للرجل بحيث أن الوضع الاستعماري أصبح يفرض مشاركة كل الجزائريين دون تمييز في العمل الثوري فقد لحقت المرأة كونها ذيل للرجل وبمعنى أدق فإنها قد انتزعت مكانتها بقوة ساعدها وهنا نستخلص أن الفتاة تخلصت من القيود القديمة[2].

3-**الأخوة:** إن مكانة الأخ الأكبر في العائلة الجزائرية شبه مماثل لمكانة الأب فهو يعتبر المسؤول عن العائلة في ظل غياب الأب حيث تخضع الأسرة الى الاحترام والامتثال للأوامر

[1] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص111.

[2] نفسه، ص114.

الأخ الأكبر مثل الأب تماما بحيث يتماثل موقف الأخ الأصغر من أخيه الأكبر مع موقف الابن مع الأب ولكن مع اندلاع حرب التحرير صار الاخوة يناضلون وفق خلية واحدة وتحت سلطة واحدة، وهنا جلت نماذج العلاقات الجديدة وزالت فكرة التقاليد التي كانت في فترة ما قبل الحرب وتجسدت فكرة الوحدة والعمل المشارك بين أفراد الأسرة ويقول فانون "إن العلاقة القديمة اذ تجري في الدائرة المغلقة للأسرة تصاب بتغيرات جذرية، بل قد يحدث حث أن يكون الأخ الأصغر هو المسؤول من بين الجماعة فلا يقف الاحترام التقليدي للآخر لأكبر عائقا في وجه الرئيس السياسي أو العسكري، ولم يعد الحق بجانب الأكبر بالضرورة ولكل شخص الحق في أن يحدد قيمه الجديدة"[1].

-**الزوجان:** كذلك تبدلت علاقات المرأة بالزوج بمناسبة حرب التحرير وعلى حين كانت لكل فرد وظائفه المحددة في المنزل فإن طبيعة الكفاح الشاملة سوق تفرض تصرفات سلوكية لم تكن منتظرة بحيث أن طبيعة الكفاح تفرض السرية التامة أثناء القيام بأي مهمة حتى الى زوجته، كان يدخل الزوج بيته وكأنه لا دخل له بالحادث أو التفجير الذي هو من قام به وهذا ما يعرض الزوج للإهانة والجنن من زوجته ويقول فانون في هذا:

"كثيرا ما تلوم المرأة الجزائرية زوجها تلميحا أو تصريحا على عدم النشاط وعدم الالتزام وعدم النضال" لأنها ترى أن مهمته كرجل تتحقق في العمل الوطني، ولكن أحيانا أخرى لا تكون الزوجة جاهلة بنشاط زوجها وذلك بعثورها أحيانا على مسدس تحت وسادته ومن هنا تبدأ رغبة المرأة واصرارها على زوجها بأن يخبرها بمجريات الكفاح، فتستخدم المرأة أسلوب الاقناع وذلك عن طريق تذكيره بذلك المناضل الذي اعترف تحت وطأت التعذيب فحطم شبكة بأكملها وهكذا انتهار مقاومته شيئا فشيئا، وإذا بالزوجين المناضلين المتلاحمين.

[1] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص114، 115.

كذلك يتمثل دور المرأة كزوجة بإقناع زوجها بطرد بعض الأفكار من ذهنه المتمثلة بتأثره برقة ركنا الزوجية يصل به الأمر الى أن يسير لزوجته برغبته في عدم الصعود مرة أخرى فتقول: "فبماذا تجيب أهل القرية على أسئلتهم التي سوف يوجهونها اليك؟ لقد وعدت بالعودة مع الاستقلال وأقسمت على إعادة الحرية فكيف تستطيع مواجهة الرجعة الى حياة عادية بينما يبقى جميع الرجال في الجبال أو في السجن؟ فهنا تقرر المرأة الالتحاق بزوجها الى الجبل خوصا المرأة التي ليست لها أولاد، وهنا نستنتج أن الزوجان الجزائريان التقي على نحو متين أثناء الثورة وكذلك هذا الالتصاق ببيت الزوجية يعمق ويوثق روبط المحبة بينهما وينتزع الزوجان من نفسيهما نقاط الضعف التقليدية[1].

4-**الزواج والطلاق:** تجرى أمور الزواج في العالم الثالث وبالخصوص نذكر الجزائر بطريقة تقليدية معروفة أي أن الزوج يرى زوجته يوم العرس ولكن مع اندلاع الثورة التحريرية نرى بأن الأمور تتغير، نظرا لوجود النساء في الجبال والممرضات للعناية بالثوار هذا ما يترتب عنه أمور غير متوقعة فمثلا يحدث أن يذهب رجال لمقابلة الضابط ويطلبون الزواج من هذه أو تلك من الممرضات يجد المسؤول في جبهة التحرير في حيرة من نفسه أن يقرر زواج تلك الفتاة بحيث لا يعترف لنفسه بالحق في أخذ طلب المجاهد بحيث الاعتبار ولكن بسبب الظروف والتغيرات التي شهدتها حرب التحرير فإن بعض الأمور تجردت هي أيضا من التقاليد السابقة فما دام الحب موجود يجب أن يحسب له حساب مما يدعو قيادة الثورة الى إعطاء تعليمات يمكن بموجبها إتمام عقود الزواج أمام المسؤول المدني، وهنا تبطل في الجبل عادة ترتيب الزواج بين الأسر، وكان شرط الفتاة الوحيد وهو ان يكون المتقدم اليها عضو في جبهة التحرير، وكان الأب عندما يحلم بزواج ابنته هذا لا يدفعه الى التمرد أو الاعتراض نلاحظ إذن اختفاء بعض اقالي الزواج السابقة وأخذ الزواج مجراه في التحول الجذري في قلب المعركة التي يريدها المجاهدون والمجاهدات.

[1] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص116، 117.

-كما أن الطلاق كذلك اتخذ مجريات عديدة فمثلا: تطليق الرجل لزوجته الذي كان بالإمكان في أية لحظة إعلانه في الحال أصبح بصورة الية وجب على الزوج تفسير وشرح أسباب الطلاق حتى تتم الموافقة عليه أي على الزوج أن يفسر لماذا يطلق ثم تجرى المحاولات للتوفيق ويبحث للمسؤول المحلي اصدار القرار الأخير[1].

5-**المجتمع النسائي:** أما المجتمع النسوي فنجد أنه قد تبدل في ان واحد وذلك من خلال التضامن العضوي مع الثورة وذلك لأن العدو كان يقتل الشعب الجزائري بطريقة وحشية رهيبة ويقول فانون في هذا الصدد "إن النساء اللواتي اعتدن أن يقصدن جبانة القرية مهار الجمعة أو يقمن بزيارة المزار المحلي اللواتي يشكلن جزءا من عشرات الالاف في الأسر المجمعة قد اقتطعت عن القيام بمثل هذا المشاء كما انقطعنا غيره" أي أن اختلاط النساء في المعسلة مع بعضهن البعض يحدث عدة تجديدات فالمرأة الجزائرية بحيث أصبحت تولي اهتمامات بأشياء أخرى مفيدة مثل الاهتمام بالعجزة والأيتام وتعلم الخياطة والقراءة[2].

6-**الجزائر المشتتة:** إن الهدف من الجرائم التي مارستها فرنسا في الجزائر هو تشتيت شعبها وتمزيقه وتقسيمه من أجل احباط أي محاولة لالتحامه وجعلها مستحيلة خلال عمليات الاعتقال التعسفية في حق الالاف، وأيضا مراكز الاعتقالات التي شهدت تزايد في الفترة ما بين (1955-1959) إن الاستعمار الفرنسي قد أصاب الشعب الجزائري بجرح كبير كان من الصعب التامه[3].

ومن هنا نستنتج أن الثورة الجزائرية عند اندلاعها استطاعت أن تحدث تغيرات كبيرة مست العادات والتقاليد ي جميع قطاعات الحياة وذلك من أجل سبب واحد وهو الالتحام تحت راية واحدة وهو الكفاح من أجل التحرير والتخلص من وطئة الاستعمار.

---

[1] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص120، 121.

[2] نفسه ، ص122، 123.

[3] نفسه، ص125.

المبحث الثاني: المرأة الجزائرية:

1-ظروف وعوامل التحاق المرأة بالثورة:

عن اللباس بصفة عامة رجال ونساء صنف من بين العادات والتقاليد التي تميز كل مجتمع عن غيره، كما يعبر مثلا لباس المرأة على أن ذلك المجتمع مسلم ويمكن أن يعرف أي مجتمع معين من خلال لباس المرأة مثل ما ذكره فانون قائلا: "فالحجاب الذي تأتزر النساء به في العالم لعربي مثلا هو مما يراه السائح مباشرة، ومن الممكن أن يجهل الانسان أمدا طويلا أن المسلم لا يأكل لحم الخنزير أو أنه يمتنع عن العلاقات الجنسية نهارا مدة شهر رمضان، ولكن حجاب المرأة يبدو ثابتا الى حد أنه يكفي بصورة عامة لتمييز المجتمع العربي"[1]، أي أننا هنا أمام عنصر مهم يحيل الى مضمون الوعي بالذات المتفردة والمميزة في إطار ما يصطلح عليه بالهوية الحايك "كلباس اختصت به المرأة الجزائرية منذ قرون وأضحى علامة مميزة لهويتها وتاريخها، وفي هذا الصدد قال فانون: "فالحايك يحدد بطريقة جد واضحة المجتمع الجزائري المستعمر، ويمكن للإنسان أن يقف بداهة حائرا، مترددا، أمام فتاة صغيرة ولكن أي لباس يختفي في فترة البلوغ، إذ بالحجاب تتعين الأشياء وتنسق فإن المرأة الجزائرية في نظر الملاحظ تماما: "تلك التي تنشر وراء الحجاب"[2].

تعتبر الحجاب رمز من رموز ومقومات الشعب الجزائري حيث سعى الاستعمار بكل جهوده الى المساس به من خلال استعماله كوسيلة يضرب المجتمع في صميمه استخدام الملاءمة وقت الثورة له فائدة تحديد هوية المرأة وتميزها عن المرأة الجنسية[3].

---

[1] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص23، 24.

[2] نفسه، ص25.

[3] المركز الوطني للدراسات البحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954. كفاح المرأة الجزائرية. دراسات وبحوث الملتقى الوطني الاول حول كفاح المرأة، ط2. منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954.الجزاير 2007 ص338.

وكانت المحاولات في التفكيك منذ سنوات 1930-1935م حيث وضع المسؤولين خطط ومشاريع من أجل هذا التفكيك وتحدث فانون عن هذا قائلا: "ذلك أن المسؤولين عن الإدارة الفرنسية في الجزائر، وقد كلفوا بتحطيم أصالة الشعب مهما كان الثمن وأوكلت إليهم السلطات مهمة تفتيت أشكال الوجود المؤهلة لإبراز حقيقة وطنية من قريب أو من بعيد، سوف يعلمون على بذل أقصى مجهوداتهم ضد ارتداء الحجاب على اعتباره في الحالة الراهنة رمزا لوضع المرأة الجزائرية"[1].

وقد كرست فرنسا إخصائيين من علم الاجتماع لدراسة هذا الوضع بصفة خاصة من خلال كسب المرأة للوصول الى المجتمع "لتعمل على ان تكون النساء معنا وسائر الشعب سوف يتبع"[2] فالمرأة هي المحرك الرئيسي الذي يحرك المجتمع "أول تضعها الأمة في بناء حريتها هو تهذيب المرأة وتثقيفها لأنها التربة التي تنبت الشعب كله منها..."[3].

لقد ركز الأخصائيون الاجتماعيون على وضع نظرية سياسية محددة لضرب المجتمع الجزائري في صميم بنيته كما ذكرنا سابقا وهي كسب النساء وذلك بمحاولة استمالتهم وتحريضهم على نزع الحجاب والخروج من البيوت حيث يخفيهن الرجال، ودعوتهن الى التخلص من التبعية والانفتاح، وذلك من خلال الجمعيات والندوات المتضامنة مع النساء الجزائريات، كل هذه أساليب استعملها الاستعمار لإخراج المرأة الجزائرية من منزلها لإهانة الرجل بصفة خاصة والشعب الجزائري بصفة عامة وذكر الكاتب هذا في قوله "وتتكاثر جمعيات التعاون والتضامن مع النساء الجزائريات، وتنظم حملة النواح، "المراد هو إشعار الجزائري بالخجل من المصير الذي يخص به المرأة" وتكون هذه الحقبة هي حقبة الغليان وهي حقبة تطبيق خطة تقنية كاملة للتسرب، تنقض أثنائها أسراب من المساعدات الاجتماعية

[1] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص25.

[2] نفسه. ص26

[3] أنيسة بركات درار، نضال المرأة الجزائرية خلال الثورة التحريرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص16.

والمحرضات على أعمال البر على الأحياء العربية"[1]، إن بداية تجسيد المستعمر لأفكاره وخططه كانت على النساء المعسرات الجائعات واستغلال الفقر والجوع لتحريضهم على نزع الحجاب ثم اقناعهم بالنصائح العلمية مثل ما قال الكاتب "حيث يبذر مقابل كل كيلو من الدقيق يجري توزيعه مقدار من السخط على الحجاب وعلى نظام الحريم، ثم بعد السخط تأتي النصائح العلمية"[2].

وتدخل في هذا المشروع الاستعماري أرباب العمل أيضا من خلال استدراج من يعمل عندهم من الجزائريين لإحضار زوجاتهم في بعض المناسبات مثل الاحتفال برأس السنة الميلادية.

ولاستقطاب النساء وضع الاستعمار نماذج من النساء يرتدين الزي الأوروبي ويجدن احتفاء كبير من قبل المجتمع الأوروبي في الجزائر بدخولهن الحياة الجديدة، وظفرهن بمكانة كبيرة في المجتمع الأوروبي وبرعاية خاصة من الإدارة الفرنسية وشرح فانون هذا "ويكسب صانعو هذا التحول تقديرا في المجتمع الأوروبي، ويغطيهم الناس وتدعى الإدارة الى رعايتهم"[3] وبالتالي اقتنع المسؤولين عن السلطة بعد النجاح في كسب بعض النساء بأنهم وجد وسند للتغلغل في المجتمع "إن كل حجاب منزوع يكشف للمستعمرين أفاقا كانت ممنوعة حتى ذلك الحين، ويبرز لهم قطعة فقطعة الجسد الجزائري، المعرى، وبعد سفور كل وجه تظهر روح المحتل العدائية وبالتالي أماله، مضاعفة عشرات المرات"[4] وقد ذكر مصادر أخرى رأي بعض الوطنيين الجزائريين "خلال المناقشات التي كانت تدور حول تحرر المرأة من الحجاب، من الوطنيين الجزائريين من يستعمل مثل هذه الحجج مؤكدا سفور المرأة الجزائرية، دون تحصينها بتعليم عربي –إسلامي يجعلها تنظر الى الأوروبي على أنه هو الرجل النموذجي وليس الرجل

[1] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص27.

[2] نفسه، ص27.

[3] نفسه، ص32.

[4] نفسه. ص33.

الجزائري"[1] في حين نظرة المستعمر لكل حجاب يسقط وكل جسم يتحرر من الحايك أن الجزائر قد بدأت في التنكر لنفسها وقابلة بهتك نشرها وهذا ما أبداه المحامي الأوروبي في رأيه قائلا: "إن هؤلاء الرجال يقترفون إثما يحجمهم هذا القدر من المحاسن العجيبة، ثم ختم كلامه بقوله: عندما يكتنز شعب ما جمالا باهرا مثل هذا كمالا لهذا الذي تجود به الطبيعة، يكون لزاما عليه أن يبرز وأن يعرضه، وفي نهاية الأمر لابد فلابد من أن نقدر على إرغامه على أن يفعل ذلك"[2] فالأوروبي عند رؤيته امرأة أو جانبا من ملامح وجهها هنا يعزز موقفه بأن النساء الجزائريات أجمل النساء في العالم.

لقد ارتأينا استراتيجية الاستعمار في تفتيت المجتمع الجزائري وقد خص المرأة بالدرجة الأولى وبذل قصارى جهده في هذا وبالتالي وجد الجزائري نفسه أمام مقاومتين الأولى الكفاح لإزالة المستعمر والثانية الكفاح للدفاع عن مقوم من مقومات الأصالة الجزائرية "حجاب المرأة" حيث قال الكاتب "فالمستعمر، أمام استهداف المستعمر لهذا القطاع من تقاليده أو ذاك برد بطريقة عنيفة جدا، إن الاهتمام الذي يبذله المستعمر، لتعديل هذا القطاع، والاندفاع الذي يميزه في عمله التربوي وتوسلاته ووعيه للدفع الى التخلي عن هذا العنصر أو ذاك، كل هذا ينسج حول ذلك العنصر المميز عالما حقيقيا من المقاومات"[3] إذا أردتم إصلاحها الحقيقي فارفعوا حجاب الجهل عن عقلها قبل أن ترفعوا حجاب الستر عن وجهها، فإن الحجاب الجهل هو الذي أخرها"[4].

ونجد موقف اخر أيضا يقول "المرأة الجزائرية لا تزال على فطره ظاهرة نقية وإن كانت جاهلة فلتعلمها ما يهملها من ضروريات الحياة لا غير"[5].

---

[1] محمد الميلي، فرانز فانون والثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص138.

[2] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص33.

[3] نفسه، ص38.

[4] محمد الميلي، مصدر سابق، ص137.

[5] أنيسة بركات درار، نضال المرأة الجزائرية خلال الثورة التحريرية مرجع سابق، ص16.

ففي هذه الفترة نلاحظ تغيرات قد طرأت على مصير ودور المرأة في الكفاح كذلك المجتمع الجزائري بصفة عامة حيث أكد فانون هذا قائلا: " سوف يتبدل موقف المرأة الجزائرية ومجتمع السكان الأصليين، بخصوص الحايك، تبدلا هاما بمناسبة كفاح التحرير، وتكمن أهمية هذه التجديدات في كونها لم تكن موضوعة في أية لحظة في برنامج الكفاح"[1].

ومن هنا تبدأ فكرة مشاركة المرأة في حرب التحرير.

لم تكن فكرة مشاركة المرأة في الثورة التحريرية تلوح في ذهن الثوار حيث طرق الكاتب الى هذا مبرزا قوله: "كل هذا قد أوصل القادة الى عدم استبعاد بعض أشكال الصراع، وبالتدريج فإن الشعور بضرورة الحرب الشاملة قد فرض نفسه، ولكن تجنيد النساء لا ينطبق على الرغبة في تعبئة مجموع الأمة فحسب، يجب المزج مزجا متألقا، ما بين دخول النساء الحرب من جهة، واحترام نمط الحرب الثورية من جهة أخرى"[2] كل هذا إضافة الى أسباب ودوافع مختلفة دفعت بالمرأة للالتحاق بصفوف جيش التحرير الوطني من بينها مثلا "هناك زوجات وأمهات المجاهدين اللاتي وقعن عدة مرات في قبضة السلطات العسكرية الفرنسية أثر العمليات الخطيرة التي قام بها المكافحون ضد العدو الغاصب، وتلقين من جراء ذلك أسواطا من العذاب المرير وامتهنت كرامتهن وانتهكت حرماتهن، فخوخا من أن يقعن مرة أخرى تحت مخالب العدو الوحشي قد التحقن بصفوف المجاهدين"[3].

وحتى لا ننسى الوضع القاسي الذي دفع بالمرأة الى الانضمام للثورة دون سابق قرار من ناحية الفقر والجوع الاضطهاد الاستعماري حيث ذكرت مصادر عديدة معاناة المرأة حيث قيل "بعد دخول الفرنسي الى الجزائر، وبعد المعارك الأولى هرب العديد من الأسر وتركت

[1] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص38.

[2] نفسه، ص39.

[3] أنيسة بركات درار، نضال المرأة الجزائرية خلال الثورة التحريرية. مرجع سابق، ص31.

المدينة، إذ شعرت بعدم الاطمئنان وقد عانت النساء الجزائريات في هذا الجو المليء[1] بالبارود ورائحة الموت، وتبدو هذه المعاناة في التشرد القصري، فلا عائلة ولا إقامة ونلاحظ أن المرأة هي أيضا لم تسلم من الحرب حيث قائل أحد الكتاب عندما كانت عملية (جيمال) تتواصل ببلاد القبائل سنة 1959 سمعت الفرقة الفرنسية المقيمة بإحدى نواحي هذه المنطقة صوتا مريبا فهلعت وراحت تطلق نيران المدافع الرشاشة والمدفعية الثقيلة وأرسلت الصواريخ المضيئة وفي الأخير عثرت على امرأة متوسطة السن وقد أصيبت بجروح وبين يديها كيس من الطعام وسألها الجنود، ماذا تحملين هنا؟ فأجابتهم بكل اعتزاز "أردت أن أغتنم فرصة الليل لأحمل الى المجاهدين بعض المؤونة[2]ز

فنلاحظ أنه شيئا فشيئا جاء قرار إشراك البناء في الثورة لكن بشكل نسبي فقط حيث قال الكاتب "وقد نجمت صعوبات جديدة، تتطلب حلولا مبتكرة بحسب تكيف العدو المتتابع مع أشكال المعركة، ولم يتخذ قرار اشراك النساء الجزائريات كعناصر فعالة في الثورة الجزائرية من دون ثروة"[3]، هنا وضع لنا الكاتب أن العدو كان على استعداد دائما في المواجهة وجاهز بكل الأساليب والوسائل للكفاح، وبدأت فكرة تغيير استراتيجية الثورة تلوح في ذهن الثوار بسبب تمسك المستعمر الجنوني بالأرض الجزائرية واقتنع المجاهدين بضرورة شمولية لمشاركة الفئات الاجتماعية في الثورة حيث قال فانون "وبالتدريج فإن الشعور بضرورة الحرب الشاملة قد فرض نفسه"[4] وبالتالي تجسدت فكرة مشاركة المرأة في الثورة حيث أكد الثوار على ضرورة منح الثقة في المرأة مثلها مثل أي مناضل جزائري "أما الأخ والأب المجاهد فلا يرضيه أن تبقى أخته أو ابنته قعيدة في البيت جامدة خامدة، إنما يرضيه وبشرفه أن تكون في طليعة المكافحين

[1] محمد الصالح الصديق الجزائر بلد التحدي والصمود، للنشر الجزائر، 2009، ص148.

[2] المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954. كفاح المرأة الجزائرية، مرجع سابق ص49.

[3] فرانز فانون، مصدر سابق، ص38، 39.

[4] نفسه، ص39.

مثله"[1] وقد ذكرت مصادر كثيرة عن إمكانية قيام المرأة بالكفاح مع أخيها المجاهد جنبا الى جنب ضد العدو ووضع فانون هنا قائلا: "ولم يكن بالإمكان النظر الى النساء باعتبارهن فئة بديلة وإنما كعنصر قادر تمام القدرة على مواجهة المهمات الجديدة"[2] ونجد أن زعماء الثورة يعارضون مشاركة المرأة في الكفاح لتخوفهم من وجنسية العدو وأساليبه التعذيبية في صد الثورة من جهة ومن جهة أخرى فإن الكفاح يفرض عليها تصرفات جديدة تمثلت في خروج الفتاة الى الشارع محجبة أو مسافرة من مكان الى اخر دون محرم، وتلتقي بالمجاهدين كل هذا له تبرير واحد وهو نيل الاستقلال للبلاد "كل للأدوار قمن بها ولم تر المرأة الجزائرية، في ذلك عائقا كبيرا أمام تقاليد مجتمعنا "الحشمة" من أجل تحرير الجزائر"[3].

ونظرا للمأساة التي عاشتها المرأة الجزائرية من ويل الاستعمار صنع منها شخصية قوية تؤدي دورها النضالي بالغريزة دون أي تدريب مسبق أو دراما وإنما الروح الاندفاعية الثورية وفد استطاع الكاتب فرانز فانون أن تجسد صورة المرأة المناضلة أنذاك في قوله "الجزائرية عندما تجند تتقن بالغريزة في ذات الوقت دورها ل "المرأة منفردة في الشارع" ودورها في مهمتها الثورية إن المرأة الجزائرية ليست عميلا سريا فهي تخرج الى الشارع، ودون تدريب ودون قصص تحكى لها، وفي حقيبة يدها ثلاث قنابل صغيرة أو في الكور سببه تقرير بنشاط إحدى المناطق وليس لديها ذلك الإحساس بأنها تؤدي دورا قرأته مرات ومرات عديدة في الروايات أو شاهدته في السينما[4].

وبعد سلسلة من تقليب الرأي بين المجاهدين ولما أقرته الضرورة في تجنيد العنصر المؤنث إلا أن القرار خص فئة معينة بداية بالنساء المتزوجات حيث شرح الكاتب هذه النقطة في قوله "فقد جرى في البد اختيار المتزوجات ممن كان أزواجهن مناضلين، وفيما بعد جرت

[1] أنيسة بركات درار، نضال المرأة الجزائرية خلال الثورة التحريرية. مرجع سابق، ص31.

[2] فرانز فانون، مصدر سابق، ص39.

[3] المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954. مرجع سابق، ص136.

[4] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية. مصدر سابق، ص41.

تسمية بعض الأرامل أو المطلقات"[1] هنا استثنوا الشابات الصغيرات لكن الاقبال الكبير لهذه الفئة على الانضمام جعل القادة والمسؤولين السياسيين بإلغاء تلك القيود والقبول بانضمام مجمع النساء الجزائريات دون تفرقة لا في السن ولا في المستوى العلمي حيث تناولت بعض المصادر هذا العنصر حيث قيل "نجد من بينهن الطالبات والمعلمات والممرضات والطبيبات والغير المثقفات، طبعا تقوم كل مجاهدة بالعمل الذي تؤهله لها قدرتها وكفاءتها وخبرتها" "تتراوح أعمار المجاهدات بين 16 سنة و30 سنة وقد أتين من معظم أنحاء البلاد وينتمي الى مختلف الأوساط والمستويات الاجتماعية"[2].

التفريق بين النساء الجزائريات ساهم بشكل كبير في شمولية العمل بينهم سواء في المدينة أو في الريف حيث قال أحد الكتاب كذلك لا أضع بالتأكيد أي فرق بين الذي عملته امرأة المدينة ومرأة الريف أنعم الله على الأولى بان نورها بالعلوم فكان منها الطبيبة والممرضة والمعلمة والمربية، فإن الثانية كانت مصقولة لتحمل أكثر مشقة حرست المجاهدين، وأمنت لهم طعامهم منذ بداية أولى مراحله، طعنته قمحا وعجنته دقيقا وقدمته خبزا يأكلوه هنيئا مريئا"[3].

لقد كانت المرأة الجزائرية حاضرة سنوات الثورة الجزائرية وتعددت أشكال مساهمتها فيها حيث لعبت أدوار مهمة في المدينة والريف.

دور المرأة في الريف:

لقد تحملت المرأة الجزائرية في الرسف الإهانة والاضطهاد أيام الاستعمار فكانت مشاركتها في الثورة منذ انطلاقتها الأولى كانت حاضرة ودائما في الموعد ولم تبخل بالتضحية لإجهاض مخططات العدو، فقد عانت الأمرين الى جانب بحيث تحملت خلالها كل أنواع

[1] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق ، ص42.

[2] أنيسة بركات درار، نضال المرأة الجزائرية خلال الثورة التحريرية. مرجع سابق، ص32.

[3] عبد الرحمن كريمي، ومنهم من ينتظر، مذكرات النقيب سي مراد، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص48.

البطش والاضطهاد الهادفة الى استمالة المرأة الجزائرية ونجد الكثير من الكتب التي تحدث عن المهام التي قامت بها المرأة الجزائرية الريفية حيث قيل "فالمرأة في الريف أو كل اليها عدة نشاطات ومهام تطلبها مسيرة الثورة الجزائرية، فقد عملت كدليل لجيش وجبهة التحرير الوطني كانت تخفي المجاهدين وتطعمهم أيضا، حملت برقيات ورسائل من مكان لآخر، ونقلت الأسلحة كما راقبت تحركات الجيوش الفرنسية" فعلى الخصوص فالمرأة الريفية التي تحملت أكثر الاضطهاد والاهانة أيام الاستعمار[1] وبالتالي كانت في الطبيعة ومشاركة في الثورة منذ انطلاقها[2].

كما كانت تقوم المرأة الريفية المجاهدة بغسل وغزل الصوف ونسجه القشاشيب التي تساعد المجاهدين في تدفئتهم شتاءا ويشترون بها أثناء تنقلاتهم[3].

ولقد اتخذت مشاركة المرأة الريفية في الثورة عدو أشكال حيث كانت المحرض والمشجع لأبنائها وزوجها وإخوانها لحمل السلاح ضد المستعمر وايديولوجيته التدميرية[4].

ولم تقتصر مهمات المرأة كما ذكرنا فقط بل عدة مهمات أخرى من بين ما ذكرها الكاتب فرانز فانون: "لقد أوكل للمرأة الجزائرية القيام بمهمات مثل نقل البلاغات والأوامر الشفهية المعقدة التي يجب أن تحفظ أحيانا عن ظهر قلب من قبل نساء لا يتمتعن بأدنى تعليم، كذلك كان عليها أن تقوم بدور الحراسة ساعة كاملة بل غالب أكثر أمام منزل يجري فيه لقاء بين المسؤولين"[5] ويظهر ذلك من خلال قصة الشهيدة خيرة بوشام "في 12 فبراير 1958 وفي ناحية من جبل تازعنونت والوقت فيه عصرا حيث أقبلت نساء مسرعات الخطى نحو المجاهدين

---

[1] المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، مرجع سابق. ص134.

[2] لونيسي إبراهيم، العمل الاجتماعي والفدائي للمرأة في الريف الجزائري خلال الثورة الملتقى الوطني حول المرأة الجزائرية في الحركة الوطنية والثورة التحريرية، وهران، يوم 18-19 جوان، 2007.

[3] علي كافي، من مناضل سياسي الى قائد عسكري، 1946-1962م، دار القصبة للنشر، الجزائر، 1999م، ص441.

[4] المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر1954. ص191.

[5] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص45.

وأخبرت بأنهن رأين مجموعات من عساكر العدو تسير على الطريق الوصلة الى هنا فهرع كل مجاهد الى بندقية يحملها لبده ويختفي بها بين الأشجار مكمنا للصيد القادم على الطريق، لم يكن جنود العدو يعلمون بوجود المجاهدين بالمكان فكان أن صاروا في لحظات كمين وقع في كماشة يكون من سابع المستحيلات النجاة منها وأنهم وابل رصاص المجاهدين في غزارة المطر على جند الغزاة المحليين، في هذه الأثناء كانت البطلة خيرة متخذة مكانا لها بالغابة حاملة بين ذراعيها ابنتها المعاقة وإذ بها ترى أربعة من الغزاة يجرون أمامها"[1].

وإضافة الى ذلك قيام المرأة الريفية بمهام على أكمل وجه حيث كانت يوميا تقوم بربط الاتصال بين التنظيمات السياسية والعسكرية وبين المجاهدين واللجان الشعبية والفدائيين والمسببين[2].

وقد ابتكرت المرأة الريفية وسائل التموين في التحايل أثناء نقل التعليمات أو المناشير باستعمال الشمائل أو بعبارة أخرى لفافات على أضرع العتر الحلوب أي أنها أقوم بقيادة قطيع من الماعز الى الحقول والجبال وتشد على أضرعها بقطع من قماش لتوهم الناظر الى الماعز أن الأضرعة مليئة بالحليب وتخشى عليها أن تتدلى، وهذا العمل الجبار كانت تقوم به لتبليغ مراكز الاتصالات وفصائل المجاهدين واللجان الشعبية[3].

ونجد أيضا أن المرأة الريفية أثناء المعارك كانت تقوم بدراسة وتحفز الثوار على مقاومة العدو وتشجعهم بزغاريدها[4] وكانت تقوم بنقل الماء واستعمال السلاح الأبيض عند اقتضاء الأمر وتتعاون مع المجاهدين لقتل العدو والاستيلاء على سلاحهم وذخيرتهم كما كانت تقوم

---

[1] عبد الرحمن كريمي، ومنهم من ينتظر، مرجع سابق، د ص.

[2] عائشة ليتيم: جرائم فرنسا، وجهاد المرأة الريفية، دار هومة للنشر والتوزيع، بوزريعة، الجزائر، 2014، ص15.

[3] لخضر بورقعة، مذكرات الرائد سي لخضر بورقعة، شاهد على اغتيال الثورة، (د ط) طبع وتوزيع، دار الحكمة، ديدوش مراد، الجزائر، 2012، ص102.

[4] أنيسة بركات، محاضرات ودراسات تاريخية وأدبية حول الجزائر منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1995، ص108.

بنقل الجرحى ودمع السلاح في ساحة المعركة[1]، وكم من مرة أصيبت بجروح أثناء قيامها بالحراسة، وكم من مناضلة لقيت حتفها تحت قنابل الطائرات والمدافع وهي تؤدي واجبها.....وتضيف الى هذه الأعمال دورا اخر تقوم به الفتاة الريفية عند انعدام الأدوية فهي التي تذهب الى المدينة لشراء الدواء اللازم من الصيدلية ثم تخفيه داخل أكياس أو أجرار متحدية يقظة السلطات الاستعمارية[2].

وهكذا كان اقبال المرأة الريفية على العمل الثوري دون تردد على قدرتها في انجاز المهام، إذ كانت أكثر عرضة من المرأة الحضرية لانتهاك حرمتها وكانت تواجه ذلك بالصبر والإصرار على مواصلة المهام.

دور المرأة في المدينة:

لما شملت الثورة المدن سارعت المرأة في احتضانها وهي مدركة لمسؤولياتها تجاه دينها ووطنها فغامرت بحياتها وشرفها وقامت بمهام في غاية الدقة والخطورة[3] وقد تحدث فانون عن اندماج المرأة في الأعمال التي تقوم بها على مستوى المدينة حيث قال: "ومنذ ذلك الحين انخرطت الجزائرية بعناد في العمل الثوري وبكامل قواها، فهي تنقل في حقيبة يدها القنابل اليدوية والمسدسات التي سوف يتناولها الفدائي في اللحظة الحاسمة أمام البار، أو عند مرور المجرم المطلوب، وأثناء هذه الحقبة كان الجزائريون الذين تفاجئهم الحوادث وهم في المدينة الأوروبية يوقفون وينسحبون بلا رحمة ويفتشون"[4].

---

[1] محمد الشريف عباس واخرون، كفاح المرأة الجزائرية، ط2، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، دار هومة، الجزائر 2007، ص191.

[2] أنيسة بركات، نضال المرأة الجزائرية خلال الثورة التحريرية، مرجع سابق، ص39.

[3] محمد الشريف عباس واخرون، المرجع السابق، ص351.

[4] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص50.

وبعد أن طرأت تغيرات جذرية على المرأة الجزائرية والتي تفنن في المدينة خاصة فقد أصبحت لا فرق بينها وبين المرأة الأوروبية فقد مس هذا التعبير الحركات والهندام وكل شيء وهذا ما ذكره فانون قائلا: " المرأة وقد تحولت تماما الى أوروبية سهلة الحركة طليقة المشيئة لاستراب بها، مندمجة في البيئة"[1] أن قيام المرأة الجزائرية بهذا الدور يعرضها هي وكرامتها لحوادث هزلية من طرف الشباب اللذين ينظرون اليها بنظرة احتقاريه كل هذا تتحمله من أجل القيام بعملها على أكمل وجه محاولة الهروب من هذه التصرفات عن طريق السير خطوات قليلة والافلات دون جلب الانتباه، ولعبها أدورا جوهرية في المدن لسهولة تنقلها واحتكاكها بالرجال[2].

وكذلك كانت تقوم بأدوار أخرى كجمع الأموال والأدوية والمؤمنة وكونت خلايا خاصة بالاتصال، كما كانت تقوم بأدوار أخرى كجمع الأموال والأدوية والمؤنة والانتقال من مدينة الى أخرى لتوزيع المناشير، وكذلك كانت تخرج في المظاهرات الى جانب المناضلين المجاهدين لضم صوتها لهم، كما كان الفضل في توعية النساء إلما كانت في البيت وضرورة التحاقهن بالثورة من أجل الاستقلال[3] ونجد الكاتب فانون أيضا يصف لنا تحركات المرأة في المدينة قائلا: "تكون مهمة المرأة الجزائرية الانتقال من مكان لآخر حاملة عشرين أو ثلاثين أو أربعين مليون من مال الثورة في حقيبة يدها الصغيرة، ذلك المال الذي سوف يستخدم في سد احتياجات أسر المعتقلين أو في شراء الأدوية والأغذية من أجل ثوار الجيل"[4].

---

[1] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق ، ص50.

[2] بلحسن بالي: المرأة الجزائرية خلال حرب التحرير 1954-1962، تر: صاري علي حكمت، (د ر ط)، منشورات ثالة، الأبيار، الجزائر، 2010، ص25.

[3] محمد صايكي، مذكرات محمد صايكي شهادة تأثر من قلب الجزائر، تحرير محفوظ اليزيدي، د ط، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص148.

[4] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص45، 46.

وبسبب الاندماج الكبير والناجح الذي حققته المرأة الحضرية وقيامها بالعديد من المهمات الصعبة جعلها مستودع للأسلحة التي يستخدمها الفدائي، فقد اكتسبت المرأة الجزائرية خبرة كبيرة عكس البدايات الأولى لانخراطها في الثورة وتحدث الكاتب هنا نحن انسجام المرأة الرائع في أبعاد الشك عنها حيث قال "إن المرأة الجزائرية السافرة وهي تنقل مسدسات، وقنابل يدوية ومئات من بطاقات الهوية المزورة أو القنابل، تتحرك كالسمكة في المياه الغريبة، يبتسم لها العسكريون وتبتسم لها الدوريات الفرنسية وهي مارة ومن هنا ترشفها الإطارات حول مظهرها ولكن أحد لا شك أن في حقائبها يقبع المسدس –الرشاش الذي سوف يحصد كما قيل أربعة أو خمسة من أفراد إحدى الدوريات"[1].

وهنا نرى أن دور المرأة في المدينة ينقسم الى فدائية "فهي لا تلبس الزي العسكري مثل الجندية بل تحتفظ على مظهرها الطبيعي كالمعتاد كي لا تثير شكوك العدو في تصرفاتها وأعمالها"[2] ودورها الاخر النضال هنا تكرس المناضلة جهودها لإرساء قواعد التنظيم للبناء في المدينة بتكوين نظام سياسي نسائي مشكل من خلايا وأقسام وأفواج لتعبئة الجماهير الوطنية وتوعيتها وتكوين المسؤولات المحليات التي تعقد بدورها اجتماعات استمرارية تهتم خلالها بالتوضيح والتوجيه ونشر المبادئ الثورية وتوزيع المناشير المتضمنة أوامر القيادة الثورية...[3].

حتى لا ننسى أن المرأة الجزائرية خلال الشهور الأولى من نشاطها قد واجهت صعوبات كثيرة من بينها الشتم والكلام الجارح إزاء نزعها الحجاب، سواء من أفراد أسرتها أو من البعيد حيث ذكر لنا الكاتب نظر الشعب لها قائلا: فقد كان يحدث للمرأة الجزائرية السافرة أن يراعها، أثناء تنقلاتها قريب أو صديق لأسرتها ويتردد الأب بالطبع في الوثوق بتلك المزاعم، ثم

[1] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق ، ص51.

[2] أنيسة بركات درار، نضال المرأة الجزائرية خلال الثورة، مرجع سابق، ص51.

[3] نفسه، ص55.

تتضاعف الاخباريات ويؤكد أشخاص متعددون أنهم شاهدوا "زهرة أو فاطمة سافرة تسير مثل ...يا إلهي احمنا"[1].

إن الفتاة الجزائرية التي تخلت عن الحجاب هنا قد استغلته لصالحها للاندماج في المجتمع الأوروبي كما ذكرنا سابقا والقيام بمهمتها بأريحية وبعيدة عن الشك، كل هذا التبرج أصبح لصالح المرأة الجزائرية وزيادة التبرج وهو أمر يجذب الانتباه فإن الجزائرية التي تدخل المدينة الأوروبية، عادية تماما تعترف على جسدها من جديد وتعبد تركيز حركاته بطريقة ثورية تماما، هذا الديالكتيك الجديد للجسد وللعالم هو رئيس في حالة المرأة[2] ومن بين النساء المناضلات نأخذ حسيبة بن بوعلي حيث ذكرت في وصف أحد الكتاب قائلا": "كانت حسيبة أوروبية المظهر لباسا ودما، فوجهها ناصع البياض وشعرها أشقر، فقد كان دمها مزيج بين دم والدها عبد القادر السنجاسي الزناتي، وأمها القبائلية ابنة الرونية، كانت حسيبة خفيفة الدم والأعصاب ولا يتغير لون محياها عند لقاءها بجنود الاحتلال فلقد كانت تمر بينهم وهم يظنون بأنها إحدى بنات المعمرين"[3] هنا يبحث المجتمع عن تفسير لكل هذا وبمجرد أن يرى نظرة الفتاة الحازمة التي جعلتها تتطوع في العمل، التي اختفت من الخوف من العار الى الخوف من الاستشهاد أو التعذيب، هنا تنجر بقية أفراد المجتمع وبالتالي الكواليس وراء نزع المرأة في المدينة للحجاب وجعله الورقة الرابحة من وسائل الكفاح الجزائرية لا تكون في صراع مع جسدها فحسب فهي حلقة أساسية في بعض الأحيان في الالة الثورية، تحمل السلاح تعرف مخابئ هامة وعلى ضوء الأخطار الملموسة التي تواجهها يجب أن تتفهم الانتصارات بعيدة المنال التي أحرزتها لكي يستطيع القول للمسؤول عنها عند عودتها: "نفذت المهمة"[4] ومما يجب ذكره أن مشاركة المرأة في الثورة التحريرية كان محل أخذ ورد في بعض الأوساط الرجعية

---

[1] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص54.

[2] نفسه ، ص53.

[3] مركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر1954، مرجع سابق. ص248.

[4] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص53.

والملتزمة التي أرادت من تشويه سمعة المرأة في الجهاد غير أن هذه الادعاءات المسمومة لم تؤثر على النساء المناضلات حيث وقفت الثورة في وجه هؤلاء المغرورين وأعطت القيمة العادلة لنضال المرأة وأصبحت الضمان المتين لتحريرها[1] هذا من جهة ومن جهة أخرى الممارسات الكولونية الاستعمارية التي مارستها فرنسا لم يثنى من عزم المرأة الجزائرية وقد تأثرت بكل التدابير والخطط التي كانت تواجهها بكل قوة وثبات ويقظة وحنكة سارت ضدها[2].

-حجاب يخلع ثم يعاد:

يعد استخدام الحجاب كالة وفن في التمويه والكفاح، واختفاءه بصفة تامة أثناء اقلاع الحجاب، فبعد مدة من الزمن قد عاد في الظهور الى الساحة بعد صعوبة بعض المهمات من ناحية أما من ناحية أخرى فقد كشف الاستعمار بسبب ظهور المرأة الجزائرية بالمظهر الأوروبي وهذا ما تطرق اليه فانون حيث قال "وبخاصة منذ عام 1957م، قد عاد الى الظهور ذلك أن المهمات قد صارت في الواقع تزداد صعوبة الى أن الخصم قد أصبح يعلم من اعترافات بعض المناضلات تحت التعذيب أن نساء يتجلين بأحدث مظهر أوروبي يلعبن دورا أساسيا في المعركة"[3] وبعد كشف السلطات الفرنسية لانخراط بعض الأوروبيات في كفاح التحرير، أصبح الأمر في منتهى الصعوبة على تحركات الشعب والمرأة خاصة فقد انتشرت الدوريات وتوقف كل من الجزائريين والأوروبيين على حد سواء وتفتيشهم، هنا وجبت العودة الى تعلم فن جديد وهو حمل الأشياء تحت الحجاب وتكون تتقن التمويه بشكل جيد وتثبت للجندي بأنها امرأة عادية حيث قبل في هذه النقطة "وهنا أيضا وجبت العودة مرة أخرى الى تعلم فن جديد، إذا أصبحت مهمتها أن تحمل تحت الحجاب شيئا ما ثقيلا الى حد أن المسؤول قال إن من "الخطر الشديد تحركيه" وعليها أن تعطي انطباعا بأن يديها حليقتان ولا يوجد شيء تحت هذا

[1] أنيسة بركات أدرار، نضال المرأة الجزائرية خلال الثورة، مرجع سابق، ص31، 32.

[2] محمد الشريف عباس واخرون، كفاح المرأة الجزائرية. مرجع سابق، ص302.

[3] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص53.

الحايك غير امرأة مسكينة أو فتاة صغيرة لا قيمة لها فلم يكن الأمر يعني التحجب فقط، يجب أن تصطنع هيئة مثل "هيئة فاطمة" توحي للجندي بالاطمئنان وأن هذه "الفاطمة" غير قادرة بالتأكيد على عمل أي شيء"[1].

فتغير بذلك المجتمع الجزائري وهذا ما يوضح لنا الملحفة أو ملاية المرأة طالما اعتبرتها فرنسا رمز للتخلف أصبح خلال الثورة سلاحا ضمن أسلحة المقاومة فتحت الملحفة أو الملاية تستطيع المرأة إخفاء الرسائل والمناشير بل وحتى للأسلحة التي تستطيع نقلها من مكان الى اخر كما أن المرأة أحيانا أخرى تتخلى عن الملاية في الأحياء الفرنسية وتقلد الأوروبيات في لباسهن لتسهل عليها الحركة والتنقل وتبعد عنها الشبهات وتحمل القنابل اليدوية أو البنادق السريعة الطلقات وذلك في الأماكن التي تتميز بالجرأة والبطولة فتعرض نفسها للهلاك للقيام بعملياتها الغذائية ضد المستعمر بل وداخل فيها السكني[2] وبالتالي فإن عودة المرأة للحجاب لا يعني بعدها عن الخطر بل العكس فالجسد الذي يغطي الحجاب يحمل مجموعة من الخيوط والأحزمة أو كيس من القنابل اليدوية، هنا المرأة لابد لها أن تكون غير مشبوهة من ناحية حركة الأيدي الشيء الذي يجذب أكثر نظر العدو وتطرق فانون لهذا موضحا في قوله "أما القنبلة التي تم تقديرها بالنظر للتعبير المؤثر الصادر عن المسؤول أو كيس القنابل اليدوية المربوطة كلها بالجسد بواسطة مجموعة من الخيوط والأحزمة فالأيدي يجب أن تبقى حرة عارية بارزة، معروضة بتواضع وبلاهة للعسكريين لكي يبقى شرهم، وإظهار الأيدي فارغة، وحرة ومتحركة في الظاهر تلك هي الإشارة التي تشل الجندي العدو"[3]، أن هذه من أصعب المهام التي كلفت بها المرأة للقيام بها، وتعبيرا عن خطورة مهامهن جاء في تقرير صحفي أمريكي بسجل قول لاكوست يصرح "إننا عندما نشاهد امرأة محجبة لا نعرف ما إذ كان ذلك

[1] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص55.

[2] يمينة باشي: صور وعبر وشعر نوفمبر لجهاد المرأة ضد المستعمر، مجلة المصادر، ع4، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2010، ص84.

[3] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص55، 56.

حفاظا على التقاليد أو التخفي في سيل تنفيذ أمر ما على أفضل وجه[1] فنلاحظ هنا أن جسد المرأة الجزائرية في المرحلة الأولى عند التجريد من الحجاب لاكتساب الوقار وباتجاه الإغراء، اما فيما بعد لابد من سحقه وجعله قبيحا للبعد عن الانتظار والقيام بمهامها على أكمل وجه وبمجرد وصول النبأ الاستعمار عن مظاهر النساء الجزائريات أخذ يمرر على أجسادهن الكواشف المغناطيسية الشهيرة دون تمييز بينهم، ونجد أن النساء الجزائريات تقسمن الى قسمين نساء ارتدين "الحايك" وعملن على نقل الأسلحة ووثائق وأخريات نزعن "الحايك" من أجل مغالطة العدو والدخول داخل المجمعات الأوروبية[2].

وبعد مدة من الزمن عاد الاستعمار الفرنسي الى حملته الكلاسيكية لجعل المرأة الجزائرية بمظهر الحضارة الغربية لجعل الجزائر فرنسية ووصف فانون هذا قائلا "إن الاستعمار الفرنسي جاهلا أو متجاهلا، هذا السلوك المبدع قد جدد بمناسبة 13 مايو (ماي) حملته الكلاسيكية لجعل المرأة الجزائرية تأخذ بأسباب بالحضارة الغربية فكان أن هددت خادمات بالطرد وجذبت نساء مسكنات من منازلهن واقتيدت مومسات الى الساحات العامة لينزع عنهن الحجاب على نحو رمزي في جو من الهتافات "تحيا الجزائر الفرنسية"[3] لكن النساء الجزائريات قامو برد فعل قوي وبصورة عفوية إذ عاودن ارتداء الحجاب ونجد أغلبهن سافرات من زمن بعيد، وهكذا فقد أكدت وأثبتت المرأة الجزائرية للمستعمر بأن تحررها ليس مرتبط بفرنسا ورؤساءها "ديغول" هنا نستطيع القول أن الحجاب كان له قيمة تاريخية قوية باعتباره الية في عملية المقاومة فالتحجب قديما كان الفصل بين الجنسين "فالتحجب يجرب تقليد بالفصل الصارم بين الجنسين "ولكن ذلك يجري أيضا لأن المحتل يزيد نزع الحجاب في الجزائر" فالتخلي عن الحجاب كان ضرورة

[1] محمد الشريف عباس واخرون، كفاح المرأة الجزائرية. مرجع سابق، ص346.

[2] المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نزفمبر1954، ص136.

[3] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص56.

من ضروريات العمل الكوري من جهة ومن جهة أخرى إفشاء المخططات الاستعمارية الرامية لزعزعة المجتمع وضربه في عقر داره.

المبحث الثالث: الأقلية الأوروبية في الجزائر:

إن نظرة المجتمع الأوروبي في الجزائر لم تكن بالشكل الذي نتصوره أن تكون هناك نخبة من المثقفين الأوروبيين والأطباء سائد والجزائر ويخففوا هول الصراع بل العك أخذو موقف المستوطنين فبعضهم قد ساهموا في رسم صبغة وهمية على حرب الجزائر، فإن الجزائر هنا بعيدة على ان يتخيلها المرء الكتاب الموحدة فقد عن هذا بعض الصحف مثل ما ذكر فانون "إن مدير صحيفة وهران Léchodoran" السيد لا فونت، وهو يصرح مؤخر بأن مدينة الجزائر لا تمثل الجزائر كلها يظهر بالضبط الرغبة التي يحس بعض الأوروبيين في أن يتميزوا عن قيادة الأركان الاستعمارية في الجزائر بل في حالة القصوى، يجب القول بأن شارع ديدوش مراد وشارع ايزلي (العربي بن مهيدي حاليا) وبعض المقاهي في باب الواد لا يمثل الجزائر"[1] وفي نيسان "أفريل" 1953م، قررت حركة انتصار الحريات الديمقراطية الاتصال مع المستوطنين الأوروبيين لتبادل وجهات النظر مع الجماعات والمصالح التأسيسية للأقلية الأوروبية، وهذا صرت به في تقرير اللجنة المركزية ضمن القسم الثاني محللا وضعيتها بما يلي: "إن مشكلة الأقلية الفرنسية لم يولها الحزب عناية كافية ولم يتوجب اليها في غالب الأحيان، وإن قام بذلك فغنما للتصريح فقط وأنه لم يكن أبدا في النشيد "قذف الفرنسيين في البحر" أو "ذبحهم" وذلك لمواجهة الحملة الاستعمارية التي تصف كحزب ذي وطنية متعصبة ومتطرفة، يمكننا القول أولا بأن الحزب غير معروف على حقيقته في هذا الوسط، ثم يمكننا التأكيد ثانيا بأن الأقلية الفرنسية تنحو فمنا"[2].

في حين نجد الاتحاد الديمقراطي الديمقراطي للبيان الجزائري يندد بعدم الدفع بالأوروبيين جميعهم للصف الاستعماري وأن بعضهم كانوا فمن أعضاء الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري

[1] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص158.

[2] المصادر الأولية لثورة أول نوفمبر 1954، ثلاث نصوص أساسية حزب الشعب الجزائري انتصار الحريات الديمقراطية، تق: عبد الرحمن كيوان، تر: أحمد شقرون منشورات دحلب، الجزائر، 2007، ص56.

وفي مواقف كهذه اتخذ الجزائريين المسلمين والجزائريين الأوروبيين موقف جيد فقد كثرت اللقاءات بينهم من اجل دراسة مصير البلاد ولم تكن هذه اللقاءات تحتوي على نزعات تؤدي بالضرر بل تجنب الأخطار التي تهدد بلادهم وهذه النقطة أيضا تناولها التقرير كما ذكرنا سابقا حيث قيل "من وجهة النظر السياسية يجب على الحزب أن يحدد نهائيا موقفه من هذه الأقلية إذ كانت في الوقت الحالي توجد غالبيتها في الجهة الأخرى بمعنى أنها تمثل قوة مناوئة، فهذا لا يمنعها من القول أنه في جزائر مستقلة:

1-الأقلية الأوروبية حق المواطنة.

2-يسعتبر فرنسيو الجزائر كجزائريين، يمكنهم الاستفادة من جمع الحقوق ويخضعون لجميع الواجبات"[1] الى جانب ماذا نجد نخبة من الشباب والفتيات توحد وللعمل معا، ونجد هذا في نداء للشبيبة الجزائرية الفرنسية والمسلمة يقول: "انه ينبغي أن يكون الجزائري المسيحي أو اليهودي أخا للجزائري المسلم، دون أن يبحث هذا الأخير عن طرد الاخر وان يعتقد الاخر بانه مرغم على إدماجه أو الحكم عليه بالعبودية[2].

ولقد قام الأوروبيين الذين هم ضد الاستعمار بالاتصال مع المسؤولين حول القضية الجزائرية ودراسة جميع جوانبها فنجدهم في استغراب من حال الجزائريين رغم الجنبات السياسية المتكررة فيدعونهم الى ضرورة العمل المسلح باعتباره الحل الوحيد لانقاض الوضع بالجزائر حين قال فانون في هذا الصدد "وغالبا ما كان هؤلاء الأوروبيين ينتهون الى تقرير ضرورة العمل المسلح باعتباره العمل الوحيد القادر على اخراج الجزائر من وضعها البائس"[3].

---

[1] المصادر الأولية لثورة أول نوفمبر 1954، مصدر سابق، ص57.

[2] شارل روبير أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، تر: عيسى عصفور، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر، 1982، ص981.

[3] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص159.

لم تكن جبهة التحرير الوطني تميز من أعضاء المجتمع الأوروبي في الجزائر كما تزعمه الاتهامات الموجهة اليها كما يجهلون الدعم المنين الذي يقوم به مئات ومئات الأوروبيين لوحداتنا وخلايانا السياسية، إن ما قلناه هو أن الشعب الجزائري ينظر بصورة عفوية الى الجهاز المضطهد من خلال أهمية الاستيطان الأوروبي وبصورة خاصة من خلال من وعدم فاعلية الديمقراطيين الفرنسيين في الجزائر، في مواجهة العنف المؤكد والمطلق، الصادر عن المستعمرين[1].

الديمقراطي الأوروبي يكون على حذر له اتصالات بالجزائريين لكل في الخفاء ويدعونه من ناحية أخرى في المستعمرة الأوروبية "بالعربي"[2] فهم كانوا يعيشون في تأرجح بين جملة من القيم تنبذها مبادئهم الخاصة وتتند بها، وعلى الرغم من سيطرة الروح العنصرين التي يستمدها من ارتباطه بالنظام الاستعماري، والتي لا تخلو من تعلقه الحقيقي بالجزائر والمصطبغ بالتصور الإنساني، من الممكن أن يتطور في المستقبل داخل نطاق جديد الى شعور وطني أصيل لا يختلف في شيء عن شعور الشعب الجزائري[3].

فالأوروبي هنا كان على استعداد تام في مساعدة الجزائريين كإيواء صديق أو مسألة أدوية حتى يجد نفسه تعلم قوانين العمل الثوري دون دراية، ونلاحظ نقطة مهمة وهي تأكيد على السرية والصدق والمسؤولية في العمل بين أعضاء الجبهة وبين الديمقراطيين الأوروبيين والنية التامة وهذا ما شرحه الكاتب قائلا "فقد كان القرار بمساعدة جبهة التحرير الوطني يتخذ بنية تامة وبالمسؤولية الكاملة، فلم يخدع ديمقراطي فرنسي واحد أبدا، وأحيانا ولا سيما في أيام 1957م والتي تجاوزت خطورتها الحدود، كان يحدث لديمقراطي أوروبي أن يتراجع في تأدية

[1] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص158، 159.

[2] نفسه، ص161.

[3] المجاهد، 30 جانفي 1961، ع88، ص5.

الخدمة المطلوبة وان يرفض القيام بها وقد بلغ به البأس مبلغا، إلا أنه لم احصل في ذلك أبدا محاولة للخداع أو الاستغلال اخلاص وتعاطف الأوروبيين"[1].

وقد أثبت بعض الأوروبيين دعمهم للثورة الجزائرية في عدة مواقف صعبة فإن الأوروبيات والأوروبيين الذين أوقفوا وعذبوا من قبل أجهزة مصالح البوليس والمظليين الفرنسيين قد برهنوا على نحو دقيق، بموقفهم وهم يسامون العذاب من ذوي قرباهم ، كما في موقف جبهة التحرير من سداد الرأي، ولم يكشف فرنسي واحد حقيقة لرجال البوليس الاستعماريين أمورا رئيسية من أمور الثورة، وعلى العكس فقد كان الأوروبيين الذين يتم توقيفهم يقاومون الى حد كاف لكي يمكنوا الأعضاء الاخرين من الشبكة من الاختفاء، فإن الرجل الأوروبي الذي كان يعذب كان يسلك مسلك مناضل حقيقي في المعركة الوطنية من أجل الاستقلال[2] وبالتالي فإن هناك من العناصر الأوروبية التي تفهمت الوضع وهملت ضد القمع بل وضعت نفسها تحت خدمة القضية الجزائرية تحالفت ومنذ الانطلاقة ساهمت في دفعها وانجاحها[3].

إلا أنه وبالمقابل لا يمكن أن تنسى اعتراف الثورة التحريرية وانطلاقا من أول وثيقة رسمية لها (بيان أول نوفمبر بالأقلية الأوروبية على أنها جزء من المجتمع الجزائري، راعت أن نضجها في وضع واقعي بحيث لا تستطيع فرنسا أن تتذرع بهم كورقة أو حجة تهدف بها الى الإبقاء على النظام الكولونيالي الاستعماري في الجزائر[4].

يهود الجزائر:

كانت الأقلية اليهودية الموجودة في الجزائر شكل خمس سكان الجزائر غير المسلمين حيث كان اليهود اراء مختلفة حول الثورة فمنهم من ساندها ومنهم من كان ضدها فالفئة التي

---

[1] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص162.

[2] نفسه، ص162، 163.

[3] علي كافي، مذكرات من المناضل الى القائد العسكري 1936-1962، دحلب، الجزائر، 2011م، ص77.

[4] المجاهد، 1961م، ص88.

كانت ضدها هي فرقة اليهود التي ربطت مصيرها بمصير السيطرة الاستعمارية وذلك لخوفهم من ان تنزع منهم أعمالهم بعد الاستقلال، فالتجار اليهود مثلا المتمتعون بفضل جنسيتهم الفرنسية بالحماية من مناقشة الجزائريين يسوف لن ينظروا بالتأكيد بعين الرضا لقيام سلطة وطنية جزائرية واختفاء الأنظمة التي تخصهم بالامتيازات[1] أما الفئة الثانية فقد كانت تحافظ على العلاقات الوثيقة بالسكان الجزائريين فيجد الإنسان تداخلا في المصالح، ومع تسجيل مواقف لبعض التجار اليهود بتأمين إمداد جيش التحرير الوطني بالملابس العسكرية والأغطية.... ولم يعد مجهولا بأن تجار يهودا عديدين منذ عام 1954، قد أوقفوا بتهمة التواطؤ مع الثورة الجزائرية[2]، في حين نجد أن اليهودي المحتقر والمنبوذ في المجتمع الأوروبي رغم الامتيازات المقدمة من طرف السلطات الفرنسية سعيد عند اذلال الجزائري ويعبر عن انتماءه للجماعات المتطرفة بالجزائر.

فقد كان ليهود الجزائر رغبة في المشاركة في الكفاح التحرري وعند صدور قرار السلطة الفرنسية بإقامة الميلشيا المدينة والريف سارعوا الى جبهة التحرير الوطني مأكدين عن عدم انصياعهم في أمر التعبة ورغبتهم في الالتحاق بالمقاومة، لكنه وللأمانة تسجل مواقف خرجت عن زمرة المعتبرين أنشطة جبهة التحرير عملا إرهابيا بل نجد الأب "ليون ايتيان دوفال" والذي يومها كان يمثل أعلى مرجع مسيحي بالجزائر ساعد وأوى مسؤولين عن جبهة التحرير اختفاء وتنقلا بالعاصمة[3].

[1] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص164.

[2] نفسه، ص165.

[3] الشروق اليومي 29 ديسمبر 2005، ع1573، أوراق خاصة محمد الميلي، ص14.

هنا الجبهة أخذت الموقف بحذر وطلبت منهم أن يكونوا عيون واذان الثورة[1] على أن تكون هذه هي مهمتهم داخل جهاز العدو كإخبارهم بأهمية الوحدات والطرق التي سلكها الجنود ووقت تحركهم كل هذه الخدمات تعتبر كفاح.

لم يكن الشعب الجزائري صبور في تحديد موقفه من اليهود حتى سنة 1959؟ بل في خريف عام 1956م وجه نداء ليهود الجزائر فها هو المقطع من النداء "يعتبر الشعب الجزائري أن من واجبه اليوم التوجه مباشرة الى الجماعة اليهودية طالبا اليها بأن تؤكد بطريقة علنية انتسابها للأمة الجزائرية، فإن هذا الاختيار المؤكد بوضوح يبدد جميع سوء التفاهم وسوف يقتلع جذور الضغينة المبذولة من قبل النظام الاستعماري الفرنسي"[2].

وكذلك جبهة التحرير صرحت من قبل في أوت 1956 حول الأقلية اليهودية فقالت إن الجزائريين من ذوي الأصول اليهودية لم يتغلبوا بعد على بلبلة شعورهم ولم يختاروا الجانب الذي يتجهون اليه، ولنأمل في أن يتبع أكبر عدد منهم طريق أولئك الذين استجابوا لنداء الوطن الحليم فمنحوا الثورة صداقاتهم وأعلنوا بفخر جنسيتهم الجزائرية[3].

ورغم أن مواقفهم جاءت بعيدة عن أهداف الثورة التحريرية، ورغم استعطافهم للجزائريين تبقى رؤيتهم للحل بعيدة ذلك ما وقف عليه مولود قاسم نايت بلقاسم معلقا: "هل يحيا الإنسان بالخبر فقط، أو أنه حيوان فقط...وما لنا والحرية والاستقلال والسيادة والكرامة الإنسانية وغيرها من الأفكار التي هي ترف وبذخ وأوهام صعب الاستيعاب على بعض الأفهام"[4] وبعد هذا النداء والتصريحات أظهر المثقفون اليهود بطريقة عفوية مساهمتهم للقضية الجزائرية ويؤكد المحامون والأطباء أيضا حقيقة الأمة الجزائرية بعد مشاركتهم مصير الكثير من الجزائريين

[1] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص167.

[2] نفسه، ص168.

[3] نفسه، ص168، 169.

[4] مولود قاسم نايت بلقاسم، ردود الفعل الأولية داخليا وخارجيا على ثورة نوفمبر، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، ط2، الجزائر، 2002، ص96.

في البحوث والمحتشدات وبالتالي ظهرت مواقف رسمية بين الكان واليهود في الجزائر حيث نجد تصريح فريق من يهود قسنطينة يقول: "كان الانقسام وسيبقى ما بين يهود ومسلمين مناورة من أكثر مناورات الاستعمار خبثا في الجزائر...إن اليهود موجودون في الجزائر منذ أكثر من ألفي عام وهم يشكلون إذن جزء لا يتجزأ من الشعب الجزائري...فليس على اليهود والمسلمين وهم أبناء أرض واحدة أن يفعلوا في مصيدة الاستفزاز، بل على العكس يجب عليهم أن يشكلوا جبهة واحدة، ويجب ألا ندعوهم يخدعوننا، أولئك الذين كانوا ليس منذ زمن بعيد يفكرون بطيش في محق اليهود عن بكرة أبيهم كمرحلة نافعة لتطور الإنسانية "[1].

وكل هذا فإن الأقلية الأوروبية اعتبرته مجرد خائن لأنه رفض استعمال الدين المسيحي لصالح الحرب القائمة ضد المسلمين وأن مؤيدي الجزائر الفرنسية وعملا بمبدأ حماية المسيحية هو شن حرب طاحنة ضد العلاقة تحليلهم كان: "هل لنا أمام كل هذا أن نتحدث عن العدالة والسلم والحب والبر والصدقة، عندما يواجهنا أولئك الذباحون والسفاحون والصوص العرب المسلمين، مجملهم متعصبون تحركهم أيادي موسكو" حتى الطبقة الضعيفة من الأقلية الأوروبية لقبته مستهزئة محمد دوفال"[2].

المستوطنون في الجزائر:

هناك العديد من الأساطير التي لا تحمل الصدق ألا وهي أن المستوطنون في الجزائر كلهم معارضون لنهاية السيطرة الاستعمارية، لكن المستوطنين أثبتوا غير ذلك أنه يجب أن يعلم النظام الاستعماري الفرنسي بأن أهم أنواع الدعم المقدم من الأوروبيين في الجزائر لكفاح الشعب كان وسيبقى دعم المستوطنين[3] فكان الجزائريين على عجب من مساندة المستوطنين لهم وخاصة صغار المستوطنين المزارعين والوكلاء هذا في الشهور الأولى من سنة 1955م،

[1] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص169.

[2] باتريك افينو، جون بلانشايس، حرب الجزائر، ملف وشهادات، تر: بن داود سلامنية، ج1، الجزائر، 2013، ص30، 31.

[3] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص170.

فالجزائري هنا وضع كل أوروبي بطاقة ويكونان على صلة ببعضهم البعض فعندما تقرر جبهة التحرير الوطني الاتصال بالأوروبيين تعرف من تستشير من المستوطنين.

والمستوطن الذي يمد يد العون للثورة يمكن لكي يبرز جيدا تضامنه مع الأوروبيين، أن يدفع ليعلن على رؤوس الاشهاد، في المقهى أو في محادثة، اتفاقه مع الأقوال الاستعمارية: "القوة وحدها هي التي تنفع معهم.... إنهم كلهم متواطئون" الخ[1] فهنا لابد من التدخل ويلزم الثبات في القيام بأي حركة عدائية ضد هذا المستوطن وضد أملاكه.

من جهة أخرى نرى فئة من المستوطنين على الرغم من المميزات التي منحت لهم لم يقبلوا بالوضع الراهن أي بقاء الحكم في يد العسكريين، فأرادوا وضع قانون يخدم مصالحهم الخاصة فقط[2].

وفي سنة 1955م قد أصبحت مزارع المستوطنين الأوروبيين مقر للمرضى وملاجئ ومحطات للتوقف، وبعد الغازات التي قامت بها العصابات الفرنسية على مدخرات الشعب الجزائري، أصبحت مزارع المستوطنين مخزن للمؤونة وهكذا حتى عادت بعض المستعمرات الزراعية للأوروبيين مخازن حقيقية لجيش التحرير الوطني فعند حلول المساء تنحدر مجموعة من الجيش لتستلم المؤونة "القمح والدقيق" وفي مرات أخرى، فإن الأسلحة هي التي تودع في المزارع، وهذه هي المرحلة التي كانت تحصل فيها من منطقة لأخرى اجتماعات في حرم إحدى مزارع الأوروبيين حيث يتم تسليم الأسلحة في ظل حماية المستوطن الأوروبي المقدسة[3].

[1] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق ، ص171.

[2] حسينة حماميد، المستوطنون الأوروبيون والثورة الجزائري 1954-1962، منشورات الحبر الجزائر، 2007م، ص37.

[3] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص172، 173.

وهناك بعض المستوطنين الذين منحهم الجيش الفرنسي أسلحة تحت ستار حماية النفس منحوها الى جيش التحرير، هذا من جانب ولا ننسى الجانب الاخر للمساعدة المالية التي كانوا يقدمونها للثوار منذ بداية الثورة.

كل هذه المساعدات والمساندات أدت بعشرات من المستوطنين الأوروبيين لايقافهم بتهمة المتاجرة بالأسلحة أو بالمساندة المادية "للعصيان" وبطبيعة الحال لم تصمت فرنسا عن هذا بل قامت بتشويه سمعة هؤلاء الرجال وهذا ما ذكره فانون قائلا "وبعد ذلك تشويه سمعة هؤلاء الرجال وإبرازهم "كعملاء للأجنبي" بل كمرتزقة"[1].

نجد بعض المزارعون الأوروبيون رغم أنهم لم ينضموا في المعركة لكنهم يساعدون الجبهة من خلال رفضهم للحماية التي يعرضها عليهم الجيش الفرنسي، كذلك بعض ردودهم تكون هامة في بعض المرات بالإضافة الى عدم تمركز الجيش الفرنسي في مزارعه رغم أن فرنسا في بعض الأحيان تتمركز بالغصب، هنا المستوطن بخبر الجبهة بالتمركز العسكري دون موافقته، ومن جهة أخرى يبذل هذا المستوطن الذي تعنيه كافة الجهود ليجعل حياة الجنود الفرنسيين مستحيلة، كما يعمل على كل حال على تزويد المسؤولين المحليين عن جبهة التحرير الوطني بمعلومات دقيقة عن أهمية الوحدة المستقرة في المزرعة وعن روحها المعنوية[2].

الأوروبيين في المدن:

كان لأوروبيو الجزائر موقف محدد إزاء المعركة الجزائرية رغم الضغوطات التي قام بها رؤساء فرنسا على المواد الصيدلانية والأدوات الجراحية، وهكذا كان بعض الأطباء والصيادلة الأوروبيين يجرون عندئذ على عادة العناية بجرحى جيش التحرير الوطني دون تمييز على بينما يسام اخرون كميات من الأدوية المضادة للالتهابات ومن كميات الإثير التي

[1] فرانز فانون العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق. ص173.

[2] نفسه، ص174.

طلبها منهم مناضلو جبهة التحرير الوطني فكانت مئات الملايين من وحدات البنسيلين تذهب سائرة باتجاه مراكز المقاومة في الجبال[1].

كما كان هناك بعض الأطباء يذهبون الى الجبال لعلاج الجرحى دون تردد وفي بعض الأحيان إذ كان الجرح خطير فإن الطبيب يحمل المجاهد في عربته ويأخذه الى عيادة صديقه، فبعد أن اكتشفت فرنسا هذه الأمور أصبحوا يقومون بتفتيش العيادات والى جانب الأطباء نجد الممرضون والممرضات يسرقون أدوات الجراحة والأدوية والضمادات من المستشفيات، فقد كان المساعدون الطبيون يواجهون "مناطق يكتنفها الالهام والشك كونهم مدمجين في المؤسسات الاستعمارية ولكنهم متضامني مع القضية الوطنية والشعب الجزائري وذلك فيما يخص مكانتهم في المجتمع وظروف عملهم[2]، ونجدهم يمنحون بعض الجرحى وهو تحت تأثير المخذر بالانتباه لما يبوح به كذلك كان يحدث في مرات أخرى إثر عملية جراحية يقوم بها طبيب فرنسي لسجين جريح، أن يكشف هذا الجريح، وهو ما يزال تحت تأثير المخدر بعض الأسرار فكانت الممرضة عندئذ تنصحه عندما يصبح في حالة اليقظة التامة يبذل مزيد من الانتباه وتروي له ما باح به، وربما كان يحدث ذلك على العكس في الغرفة بحضور الطالب المعاون فيهتف في الحال لرجال الشرطة، وإذا بهم عندئذ ولما نمص بعد ساعتان على إجراء عملية خطيرة يباشرون بجلسات تعذيب حقيقة له[3].

كما كان بعض الأطباء الأوروبيين يقومون بتنظيم دروس سرية للممرضين عسكريين من جيش التحرير الوطني وبالتالي تتخرج أفواج عديدة من المساعدين الطب وهناك أيضا بعض الفتيات الأوروبيين ينضموا الى خلايا سياسية للحصول على الورق والات الطباعة وأحيانا يقمن بطبع المناشير لجبهة التحرير الوطني، وكذلك الشباب ينقلوا أعضاء الشبكة في

[1] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق.ص174.

[2] يمينة مجاهد، تاريخ الطب في الجزائر في ظل الاستعمار الفرنسي 1830-1962، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، أحمد بن بلة، وهران، 2017-2018، ص123.

[3] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية. مصدر سابق، ص175.

سياراتهم وهو نفس الحال لدى بعض الأسر الأوروبية تتكفل بإيواء مسؤولين سياسيين وتأمين جوازات السفر وهويات شخصية مزورة وغيرها من البطاقات المزورة، أن الفضل وراء إفلات التنظيم الثوري قبضة الشرطة يعود الى تطوع الأوروبيين الذي بقى في تزايد مستمر رغم الظروف المحضة في حقهم ومن المعروف أن أوروبيين عديدين كانوا أوقفوا وعذبوا بسبيب إيوائهم مسؤولين سياسيين أو عسكريين من الثورة لتخليصهم من جحافل المستعمرين[1] الى جانب مساهمات الأوروبيين من أدوية ونقل للمسؤولين وغيرها نقلوا الأسلحة أيضا عبر الحواجز باعتبارهم لا يفتشون وإذ لزم الأمر للتفتيش يبرر رغبة في الاستعداد لمواجهة الجزائري.

والأمر الذي لم يكن متوقعا أخيرا، ولكنه تكرر مرات عديدة أن يقوم رجال البوليس بتزويد الخلية المحلية بالمعلومات عن العمليات المقبلة ويقومون بإخطار هذا الجزائري أو ذاك أنه مراقب أو أنهم في اللحظة الحاسمة ينذرونه بأن سجينا قد تكلم منه أثناء التعذيب وأشار الى أنه المسؤول المحلي[2].

ونجد الى جانب الأوروبيين الذين أوقفوا وعذبوا بسبب دعمهم للجزائر هناك أيضا فرنسيين ساندوا وانخرطوا في كفاح التحرير.

[1] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق. ص176.

[2] نفسه، ص176، 177.

الفصل الثالث

الاعلام الإذاعي في الجزائر خلال الثورة

(إذاعة صوت الجزائر المقاتلة نموذجا)

المبحث الأول: الإذاعة وسيلة للدعاية الاستعمارية:

كما هو معروف أن الاستعمار الفرنسي قد انتهج عدة طرق بهدف الحفاظ على سيطرته الدائمة والمستمرة على شعوب المستعمرات فهو لم يكتف باستعمال الأسلوب العسكري المعروف لدى الجميع ولكنه استعان بأخطر الأساليب[1] بحيث استعمل وسائل الاعلام على اختلافها للترويج لدعايته وأكاذيبه المضللة[2] ومن هذه الوسائل الراديو في الجزائر بحيث أنه عبارة من محطة إذاعة فرنسية مقامة في الجزائر منذ عشرات السنين، أي طبعة ثانية أو صدى لمحطة البحث الفرنسية الوطنية المقامة في باريس يعبر قبل كل شيء عن المجتمع الاستعماري وقيمه ومعظم الأوروبيين في الجزائر يمتلكون جهاز للراديو، فقد كانت أجهزة الراديو قبل عام 1945 موجودة بنسبة 95% بين أيدي الأوروبية أما الجزائريون الذين يكسبون أجهزة فهم محصورون في البرجوازية المتطورة[3] بحيث جندت السلطات الاستعمارية الى جانب قوتها العسكرية الجرارة المجهزة بأحدث التقنيات الحربية والمدعمة من طرف الحلف الأطلسي مختلف وسائل الدعاية والاعلام وكانت الإذاعة واحدة من أكبر الأساليب لتثبيت سياستها الاستعمارية ومن جهة أخرى تحذير الجزائريين الذين قد تسول لهم أنفسهم التفكير في التمرد على فرنسا[4].

إن راديو الجزائر يتعهد غرس ثقافة المحتل، كما أن راديو الجزائر أي صوت فرنسا في الجزائر يشكل المركز المرجعي الوحيد على مستوى الاعلام، وبالنسبة للمعمر كان يحذره بعدم التمازج مع السكان الأصليين، كما يعتبر اقتناء جهاز الراديو بالنسبة للمستوطنين الأوروبيين أنه هو وسيلة من الوسائل للفرار من ضغط جموع السكان الأصليين، إن الراديو يذكر المستوطن

---

[1] حامد ربيع، الحرب النفسية في المنطقة العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ط1، 1974، ص37.

[2] إبراهيم لونيسي، المجاهد ودورها في الحرب النفسية إبان الثورة التحريرية ملتقى الاعلام ومهامه أثناء الثورة، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 198، ص120.

[3] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص65.

[4] لزهر بديدة، موقف الاعلام الفرنسي من اندلاع الثورة التحريرية من خلال برقية قسنطينة، مجلة الاعلام ومهامه أثناء الثورة، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 1998، ص13.

وهو في المزارع بسلطته ويمنحه بوجوده ذاته الأمن وراحة البال، كذلك يربط المجتمع المستوطن مع الوقائع التي تجرى في فرنسا أي وسيلة للعمود عند الأوروبيين المنعزلين ووسيلة للضغط الثقافي على المجتمع الخاضع ويعاش الراديو لدى المزارعين الأوروبيين على الجملة كصلة وصل مع العالم المتحضر وأداة فعالة في مقاومة الأثر الجيش لمجتمع من السكان الأصليين ثابت لا تطلعات له متخلف لا قيمة له[1].

كانت الإذاعة عبارة عن منبر يدافع من خلاله المعمرون عن مصالحهم ووجهات نظرهم وأضحت بذلك بوق من أبواق الإدارة الاستعمارية تمرر من خلالها سمومها وتظليلاتها وتزييفاتها للرأي العام الداخلي والخارجي[2] كما أن للراديو مهمة على المستوطنين ألا وهي تذكيرهن دائما بانتمائهم لفرنسا كما أن جماعات المستوطنين المنتشرين في أواسط البلاد المغامرين في استصلاح الأراضي يعرفون ذلك جيدا ويتفكرون يرددون أنه لولا الخمر والراديو لكنا الان قد استعربنا[3].

ومن جهة أخرى لقد أسست الإدارة الاستعمارية الفرنسية دار للتزوير الإذاعي وهي عبارة عن مركز بفرنسا ساهم في تأسسه أحد الجواسيس الفرنسيين لتغطية العمل الحقيقي الذي يجري بين جدران هذا المركز العجيب حيث يتم تحضير برامج إذاعية وصحفية بإشراف أخصائيين فرنسيين، ينتمون كلهم الى قسم الجاسوسية الفرنسية، وعصابات اليد الحمراء وأهم أعمال العصابة في هذا المركز هي إنجاز حصص إذاعية عادية تسجل كلها بالعربية وتذيعها محطة الارسال الباريسية رقم 2 ابتداء من الساعة العاشرة ليلا بالإضافة الى انجاز حصص إذاعية تحمل اسم "صوت الجزائر" وتقوم بدعاية للحركة المصالية، التي يوجهها البوليس السري

[1] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص68، 69.

[2] سيف الإسلام الزبير، صفحات من الصراع الجزائري الفرنسي، المؤسسة الوطنية للطباعة، الجزائر، 1988، ص70.

[3] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص68.

الفرنسي ويخذيها بعناصره وإمكانياته لتقوم بأعمال التخريب والخيانة ضد الوطنيين الجزائريين المقيمين في فرنسا[1].

كمل وصلت السلطات الاستعمارية تكثيف مجهوداتها في إنجاح هذه السياسة أي بمعنى اخر فإن جهاز الراديو الناقل للإعلام في الجزائر عبارة عن أخبار تخص الاحتلال الفرنسي بحيث أن التكتيك الإذاعي والصحافة وبصورة عامة النظم والبلاغات وأجهزة ارسال الاشرات كلها في المجتمع الاستعماري توجد تبعا لنظام مميز تماما، والمجتمع الجزائري المجتمع الخاضع لا يشارك مطلقا في هذه الدنيا من الإشارات، إذ إن البلاغات التي تذاع من راديو الجزائر تلتقط من الممثلين الوحيدين للسلطة في الجزائر ومن مواطنين القوة المسيطرة وحدهم وتبدو بشكل سحري أنها تتجنب أعضاء المجتمع من السكان الأصليين[2].

مما سبق ذكره يمكننا أن نستنتج مدى الأهمية التي كانت توليها فرنسا الاستعمارية للإذاعة في الجزائر، من حيث توفيرها الإمكانيات المادية والبشرية والوسائل التقنية بالخصوص حتى يتسنى لها الانتشار ومتابعة برامجها من قبل المستوطنين والمواطنين الجزائريين معا كما كانت السلطات الفرنسية تعمل باستمرار على تعزيز أجهزة البحث التقنية التي توسع من دائرة وصول صوت البرامج الفرنسية عبر قنواتها حيث كانت إذاعة صوت الجزائر تبث بثلاث لغات العربية والقبائلية والفرنسية لغة الاحتلال والتي كان ينظر الجزائري لها على أنها إهانة أي أن كل تعبير فرنسي له صلة بالجزائري ينطوي على مضمون مهين وكل كلمة فرنسية تطرق الاسماع كانت أمرا أو تهديد أو شتيمة أي صورة المعاني الثلاثة[3].

[1] المجاهد، دار التزوير الإذاعي، الاثنين 26 رجب 1379، 25 جانفي 1960، العدد 70، ص04.

[2] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص70.

[3] نفسه. ص90.

المبحث الثاني: نشأة إذاعة الجزائر الحرة المكافحة كسلاح في معركة التحرير:

إن الاعلام يشعل حيزا هاما وأساسيا في العمل السياسي وتزداد الحاجة اليه كلما كان هذا التنظيم أو هذه الحركة السياسية داخله في معارك كبير، فإلى جانب البرنامج السياسي والمنحى الأيديولوجي يتطلب إيجاد إعلام خاص ليكون المعبر عن أهدافه وأفكاره وآرائه، يعمل على اقناع وتعبئة وتوعية الجماهير لتلتف حوله وبنجاح العمل الإعلامي يكون التنظيم السياسي قد قطع أشواطا بعيدة على درب الانتصار فعلى سبيل المثال نأخذ السياسة الاستعمارية الفرنسية التي اتبعتها في الجزائر من ناحية الاعلام فبعدما كان الاعلام واستعمال جهاز الراديو وسيلة للتثبيت الاستعماري ووسيلة للدعاية الفرنسية أصبح وسيلة للكفاح ضدها حيث مراد خارج جهاز الراديو الى الجزائر بعدة مراحل أبرزها مرحلة الرفض من طرف الجزائريين باعتباره وسيلة استعمارية تخدش التقاليد والعادات الجزائرية ومرحلة الانتقال وذلك من خلال استعماله كوسيلة للكفاح التحرري والذي لفت صدى وأثر كبير في تدويل القضية الجزائرية في المحافل الدولية.

1-الظروف التي صاحبت انشاء إذاعة الجزائر المقاتلة:

في ظل انتشار الإذاعة الفرنسية في الجزائر وحيازة المعمرين لأجهزة الراديو نجد في مقابل ذلك مئات الأسر الجزائرية التي كان مستوى حياتها يجعل حيازتها لجهاز الراديو ممكنة، لم تفعل ذلكم ولم يكن هناك مع ذلك قرار معقول خاضع لظروف معينة برفض هذه الالة ويقصد بها بالرغم من الحالة لبعض الجزائريين الا إنهم لا يملكون جهاز الراديو وذلك بسبب تمساهم الشديد بالعادات والتقاليد بحيث يقول فانون في هذا الصدد "إن تقاليد الاحترام تتصف عندنا بنوع من الأهمية ومن التدرج بحيث يصبح من المستحيل علينا أن نستمع على نطاق الأسرة الى برامج الراديو فالتلميحات الغزلية أوحت الأوضاع الهزلية التي ترمي الى إثارة الضحك المشار اليها في الراديو تحدث في وسط الاسرة توترات لا يمكن احتمالها، إن احتمال حدوث الضحك الممكن حصوله دوما في حضرة رب الأسرة أو الأخ البكر والاستماع جماعة

لكلمات الحب أو الأحاديث الطائشة يعيق بكل تأكيد انتشار جهاز الراديو في المجتمع الجزائري الأصلي[1] بحيث نستنتج هنا أن هذه هي مرحلة الرفض من قبل الأسر الجزائرية في ادخال جهاز الراديو الى البيوت الجزائرية وذلك لسبب وحيد أنه منافي للعادات والتقاليد المعمل بها في تلك الفترة.

ولكن مع تطور الأحداث في الجزائر منذ عام 1945 ظهرت الجزائر بقوة على المسرح العالمي وذلك بعد المجازر التي ارتكبتها فرنسا ضد الجزائريين حيث يقول فانون في هذا الصدد: "إن أخبار الخمس وأربعين ألف من القتلى في سطيف وقالمة قد أخذت منذ أسابيع تغذي صحف العالم وبيانات الاعلام"[2] بحيث كان للثامن ماي انعكاسات عديدة على الصعيد الوطني والدولي وهي انعكاسات وإن اختلفت مرحليا من حيث طبيعتها وتأثيرها فقد التفت في النهاية عند نقطة واحدة، وهي أنه لا فائدة من استمرار نفس الأساليب النضالية التي كانت سائدة قبل 8 ماي 1945 في تعامل الشعب والحركة الوطنية والمواقف الدولية مع السلطات الاستعمارية[3] كل هذه الظروف مهدت الى إدخال الراديو الى الجزائر بكثرة، بحيث إن أول إدخال الراديو الى الجزائر يعاصر إنشاء محطات إذاعة وطنية في مصر وسوريا ولبنان، وقد تزايدت الأجهزة ابتداء من عام 1947-1948 لكن على نحو معتدل.

إن الشعب الجزائري قد أحسب في عام 1951-1952 بمناسبة أولى المناوشات في تونس بالضرورة لزيادة شبكة استعلاماته وإذا بمراكش تباشر في عام 1952-1953 حربها التحريرية وفي الفاتح من نوفمبر 1954 تتضمر الجزائر الى الجبهة المغاربية المعادية للاستعمار، ولقد حدث أكثر التحولات أهمية في نطاق اقتناء أجهزة الالتقاط وذلك من أجل اسماع صدى الثورة في الداخل الشعب وتبيان حقيقة الاستعمار ومعرفة التطورات الثورية بحيث

---

[1] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص66.

[2] نفسه، ص71.

[3] عامر رخيلة، 8 ماي 1945، المنعطف الحاسم في مسار الحركة الوطنية، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، د س، ص87.

كانت الدول الداعمة للثورة الجزائرية مثل مصر وتونس والمغرب وسوريا تبث عبر اذاعتها صدى الثورة[1].

1-صوت الجزائر من القاهرة:

في عام 1954 ومع اقتراب الساعة من العاشرة مساء يوم أول نوفمبر أخرج الأستاذ أحمد سعيد ورقة واحدة كانت مخبأة بعناية وسطر رزمة أوراق بيضاء مماثلة نص بيان إعلان ثورة تحرير الجزائر، وكان هذا البيان قد جاء بعد دراسة متعمقة ضمنت عدة أطراف على أعلى المستويات السياسية والإعلامية مع المجاهدين الجزائريين، بدأ التخطيط لربط المجاهدين في الداخل مع أقرانهم في الخارج وكان هذا الربط عن طريق صوت العرب، وضعت الخطة وبدأ التنفيذ منذ منتصف ليلة الأول من نوفمبر 1954 بإعلان بيان الثورة، وظل صوت العرب سبع سنوات كاملة يخاطب الشعب الجزائري والمناضلين في جبال الأوراس عن طريق الثوار الجزائريين الموجودين في القاهرة الذين تحدثوا من خلاله وكان محملة الدعائية التي قام بها صوت العرب أكبر الأثر في لفت الانتباه للقضية الجزائرية وحشد الشعب الجزائري وراء هذا الهدف أصبح بالنسبة له مسالة حياة أو موت[2].

إن إذاعة صوت العرب من القاهرة أولى الإذاعات التي خصصت برامج محددة في فترات ثابتة لإذاعة اخبار الثورة الجزائرية ولقد كانت الحصة التي تقدمها باستمرار قوية ودقيقة، ومتابعة من طرف جمهور عريض حيث كانت كل الأسر الجزائرية تجتمع لسماع هذه الإذاعة، وأحسن دليل على ذلك حسب شهادة المرحوم السنوي صدار، الذي كان وقتها يدير محلا لبيع وإصلاح راديو الكترونيك بأحد المدن الجزائرية: كان الأمر جد مربح لبيع بالتقسيط أو تأجير

[1] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص71، 72.

[2] عباس متولي، صوت العرب الإذاعة التي قوضت أركان الاستعمار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ص49.

أجهزة الاستقبال لراهن بضمانات سهلة، كان الأمر جد مربح لدرجة أنني كنت أستعين باثنين الى ثلاثة مساعدين[1].

نجد هنا الاهتمام الكبير من قبل الأسر الجزائرية بالاستماع الى الراديو وذلك بسبب أن كفاح التحرير يضع الجزائري في حالة من الشعور بضرورة متابعة تطور المجابهة خطوة بخطوة، بحيث رأى الجزائري نفسه مساقا ال اقتناء مصادر خاصة به للاستعلام منذ الشهور الأولى للثورة بهدف حماية ذاته وتجنبا لما يعتبره مناورات كاذبة من المحتل وأصبحت معرفته بما يحدث في الوقا ذاته اطلاعه على خسائر العدو الحقيقية، وعلى خسائره أمرا أساسيا وقد أخذ الجزائري في هذه الحقبة يحس بالحاجة الى النهوض بحياته الى مستوى الثورة الى الدخول في شبكة الاعلام[2].

2-صوت الجزائر من تونس:

في مستهل عام 1956 قررت الحكومة التونسية فتح باب إذاعتها أمام الثورة الجزائرية بحيث تم تسطير برنامجها خاصة بالثورة تحت عنوان: "هنا صوت الجزائر المجاهدة الشقيقة وفضل الإخوة التونسية المتضامنين مع كفاح الشعب الجزائري أن يكون إعداد برنامج من طرف الجزائريين انفسهم وبدات الإذاعة التونسية تبث برنامجا خاصا بالجزائر بعنوان صوت الجزائر المجاهدة الشقيقة وهو برنامج تونسي يذاع ثلاث مرات في الأسبوع مدة 20 الى 30 دقيقة ويستهل بنشيد قسما للشاعر الثورة مفدي زكريا، وكان البرنامج يسجل باللغة العربية وكان يضم أخبار عسكرية وتعليق سياسي لكن هذا البرنامج توقف وقرار توقيفه لم يدم طويلا حيث أعيد برمجته من جديد بعنوان صوت الجمهورية الجزائرية مدة نصف ساعة وكان البرنامج

[1] السنوسي صدار، الإذاعة السرية خلال مدة الحرب، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال، الجزائر، 2003، ص15.

[2] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص72، 73.

يسجل أنباء عسكرية باللغة العربية ننشره بالقبائلية ونشرة بالفرنسية[1] كما أن استخدام اللغات العربية والقبائلية والفرنسية كان له فائدة في تطوير وتعزيز وحدة الشعب[2].

ومن هنا نستنتج أن مجازر 8 ماي 1945 والصدى الدولي لها كلك اندلاع الثورة التحريرية بشكل منعرجا جديدا في ادخال سياسات جديدة وتقنيات حديثة كجهاز الراديو والذي شكل وسيلة أساسية وهامة في اسماع وتبين واقع الاستعمار الفرنسي في الجزائر بحيث انتقلت الإذاعة في الجزائر من سياسة استعمارية تهدف الى تضليل الرأي العام الى تقنية كفاح مبينة ومصورة وناقلة لأحداث الثورة الجزائر في الداخل والخارج ومما زاد فعالية الإذاعة الدعم الدولي في اسماع صوت الجزائر سواء كانت دعما من الدول المغاربية المجاورة أو من الدول الشقيقة الأخرى أمثال مصر بحيث ساهمت بشكل كبير من خلال اذاعاتها في ربط الثورة وواقعها على المستوى الداخلي والخارجي كل هذه الظروف شددت الى ضرورة امتلاك الراديو في العائلات الجزائرية.

-جبهة التحرير ودورها في إنشاء إذاعة صوت الجزائر المكافحة:

إن أولى البدايات الإعلامية للجزائريين كانت عن طريق الصحافة المكتوبة بحيث حاول الجزائري أثناء شهور الحرب الأولى تنظيم جهازه الإعلامي بالصحافة المكتوبة هي التي يحصل المواطن الأصلي على قراءتها بشغف فيستقي الجزائري من هذا القطاع الكلامي عناصر تساعده على إعادة توازنه ولكن سرعان ما بدأ يتناقص مجهود الصحافة الديمقراطية بحيث أن التأييد المعنوي الذي كانت تقدمه الصحافة الديمقراطية لمجرد كونه موضوعيا أخذ يتوقف تدريجيا وكانت أبرز هذه الصحف نذكر الاكسبريس، وفرانس أو بزرفاتور، لوموند وتزيد ارساليتها الى الجزائر بسنة واحد الى ثلاثة وحتى الى خمسة الى أن أصدرت القيادة السياسية

[1] فائزة بكار، إذاعة الجزائر الحرة المكافحة 1956-1962، دراسة تاريخية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علوم الاعلام والاتصال، كلية العلوم السياسية والاعلام، قسم علوم الاعلام والاتصال، جامعة الجزائر، 2010، ص54.

[2] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص83.

للثورة أمر بمقاطعة الصحافة المحلية في الجزائر لم تكن الصحافة المكتوبة في الجزائر تلقت أهمية من طرف الجزائريين لم تكن الصحافة المكتوبة في الجزائر تلقى أهمية من طرف الجزائريين وذلك بسبب عوامل حدد فانون في 7 على مستوى الجماهير التي بقيت بمعزل عن هذا الصراع نسبيا حول الصحافة المكتوبة، تصبح الضرورة ملحة للحصول على أجهزة للراديو، كما يجب أن لا ننس في الحقيقة أن أمية الشعب التي أصبحت شاملة كانت تجعله لا مباليا بالأشياء المكتوبة فقد كانت الغالبية الكبرى من الجزائريين في الشهور الأولى من تاريخ الثورة كل شيء مكتوب بالفرنسية تعبير عن السلطة الاستعمارية.

فإن شكل الخط في الطباعة الاكسبريس كان العلامة على الوجود الفرنسي[1] في ظل هذه الظروف كان لزاما على جبهة التحرير الوطني أن تجد لنفسها جبهة إعلامية تخاطب من خلالها الشعب وتجعله في غنى عن اللجوء الى وسائل أخرى متعددة ولم تقف بذلك مكتوفة الأيدي أمام الهجمة الإعلامية الفرنسية المكثفة والهادفة الى تشويه صورتها والتقليل من أهميتها وذلك من خلال إطلاق عليها مختلف النعوت والأوصاف والتهم الباطلة[2] وبانت حاجيتها لإعلام جديد يتماشى وما تنتجه المعطيات الراهنة والتطورات والنتائج المتحصل عليها وللإشارة فإن الجبهة قد بدأت معركتها الإعلامية بالمنشور السياسي وجاء من خلال أحد منشورات الثورة ما يلي: إن الصحافة الاستعمارية والإذاعة فعلت كل شيء لتجند ضدها الرأي العام داخل الجزائر وخارجها فهي تصورنا بكوننا مجرمين مطاردين بمقتضى الحق العام داخل الجزائر وخارجها ويحاولون أن يتهموننا بأننا عملاء وقد أحببناهم ونجيبهم بأننا لسنا لأحد فنحن نخدم قضية الجزائر وحدها ولا يوجد في صفوفنا أجانب إن الجزائريين وحدهم الذين يقومون بالقتال[3].

---

[1] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص74، 78، 80، 81.

[2] الغالي غربي، اندلاع ثورة نوفمبر من خلال الصحافة الفرنسية، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 1998، ص222.

[3] أحمد حمدي، مؤتمر الصومام ومهام الاعلام الثوري، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، ط2، 1995، ص84.

ونظرا للحصار العسكري والسياسي والدبلوماسي والإعلامي على الجزائر قررت جبهة التحرير الوطني تحطيمه بإقامة شبكة إعلامية تتصدى بقوة لبعض افتراءات وأكاذيب العدو على أن ما يجري على أرض الجزائر هي عمليات مسلحة معزولة يقوم بها الخارجون على القانون وقطاع الطرق، وكذلك فضع الأعمال الإرهابية التي تمارسها الدولة الفرنسية التي كانت تدعي بأنها جاءت لتهذيب الشعب الجزائري، وتوزيع وإحقاق العدل والأخوة والمساواة الذي لم يطبق إلا داخل فرنسا وعكسه خارج حدودها[1].

أما التحول الحقيقي فقد حدث اخر عام 1956 إذ وزعت فعلا في هذا الوقت منشورات تنبىء بوجود صوت الجزائر الحرة حددت فيها ساعات الاستماع وأطوال موجة البث وهذا الصوت الذي يتكلم من الجبال وغير محدد المكان جغرافيا ولكنه ينقل بلاغ الثورة العظيم الى الجزائر كلها يكتسب دفعة واحدة قيمة جوهرية ففي أقل من عشرين يوما نفذ جميع ما في المستودعات من أجهزة الراديو وظهرت في الأسواق تجارة الأجهزة المستعملة وأنشأ الجزائريون المتمرسون لدى أصحاب محلات بيع الراديو والأدوات الكهربائية من الأوروبيين ورشات صغيرة بالإضافة الى أنه على التاجر أن يلبس حاجات مميزة إن عدم انتشار الانارة بالكهرباء الى مناطق واسعة في الجزائر يطرح في الحقيقة على المستهلك مسائل محددة لذلك فإن الأجهزة المدارة بالبطاريات هي التي تصبح منذ عام 1956 الأكثر رواجا على الأرض الجزائرية، فقد بيعت للجزائريين في بضعة أسابيع ألاف عديدة من الأجهزة للأفراد وأجهزة تقتنيها العائلات ومجموعات البيوت والدواوير والمشاتي[2] بحيث ألح مؤتمر الصومام المنعقد في 20 أوت 1956 في مبادئه حول الاعلام الثوري، على وجوب الابتعاد عن الدعاية الكاذبة والاعتماد على الحقائق حيث تكون الدعاية ناضجة وجدية وموزونة على أن لا تفتقر الى الصلابة والصراحة والاتقاء الثوري وقد ورد في القسم الثالث من المنهج السياسي للميثاق عنوان وسائل

[1] الصادق دهاش، مقتطفات من الاعلام في الثورة، ملتقى الاعلام ومهامه أثناء الثورةان المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 1989، ص149.

[2] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص82.

العمل والدعاية ومما جاء فيه[1] قرار إنشاء إذاعة جزائرية خارج التراب الوطني، وبالتحديد في الناظور في الشمال الشرقي للمغرب ولم يكن هذا الاختبار اعتباطيا إنما لاعتبارات عديدة أهمها مساندة المغرب الشقيق للثورة الجزائرية، وقد حدد قائد الولاية الخامسة، المجاهد بوصوف أول نوفمبر 1956 موعد انطلاق الإذاعة الجزائرية، غير أن عدم التحكم في الأمور التقنية وعدم إمكانية تأهيل الأجهزة التقنية التي استطاعت الثورة توفيرها وكذلك إمكانية استغلالها حالت دون انطلاق الإذاعة في الموعد حتى تم السيطرة على زمام الأمور وتركيب الهوائيات بكيفية تمكن المواطن في كل مكان من استقبال الارسال وتم تحقيق النتائج ابتداءا من شهر ديسمبر واقتربت بذلك الساعة الحاسمة[2].

كما أقر مؤتمر الصومام حل التباين بين المواقف المتضادة حول استعمال اللغة الفرنسية في البث فمنهم من يرى أن استعمالها يؤكد على أن الجزائر جزء لا يتجزء من فرنسا وهم أنصار الاندماج الذين يرون في ذلك مناسبة جديدة للتأكيد على ان الجزائر فرنسية ومنهم من يرفض استعمالها كالمناضلين الذين يأكدون على أن التكلم بالعربي ورفض الفرنسية كلغة وكيفية للاضطهاد الثقافي شكلا من أشكال التمييز والوجود الوطني ولكن جاء مؤتمر الصومام وحل مشكلة الخلاف حيث يقول فانون في هذا المعنى 'إن حقيقة المعركة في أوت 1956 وارتباك المحتل قد جرد اللغة العربية من صفتها المقدسة وجرد الفرنسية من مقولاتها الملعونة[3].

وفي السادس عشر ديسمبر من سنة 1956 انطلقت هذه الإذاعة في أول بث بعد أن تم اجراء تجارب عديدة والاعلان لاحقا عن طول الموجات للمسؤولين والمناضلين وكان من بين الوسائل المستعان بها للإشارة عن موجات الإذاعة في جريدة المجاهد هكذا استطاعت هاته الوسيلة السمعية الإعلامية أن تحقق حلمين حلم الثورة في مخاطبة الشعب الجزائري

[1] عواطف عبد الرحمن، الصحافة العربية في الجزائر دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية 1954-1962، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص58.

[2] السنوسي صدار، الإذاعة السرية خلال مدة الحرب. مرجع سابق، ص50.

[3] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص92، 93.

مباشرة بوسائلها الخاصة يلتف أكثر حولها وحلم الجزائريين في معرفة تطورات الكفاح الثوري دون تزييف من إذاعة جزائرية مئة بالمئة بمادتها الإعلامية وإطارتها الإدارية والصحفية والتقنية[1].

اتفق النظام الترتيبي لقيادة جبهة وجيش التحرير الوطني بتسميتها إذاعة الجزائر الحرة المكافحة، صوت جبهة التحرير الوطني يخاطبكم من قلب الجزائر، ويكتشف الشعب الجزائري لون وجهها جديدا من الكفاح الثوري وقفزة نوعية للثورة الجزائرية حيث كانت الحصص التي تقدمها هذه الإذاعة مباشرة ويومية لمدة ساعتين على الموجة القصيرة طولها 25 مترا وتتحرك في شعاع 20 كلم لتجنب قياس الزوايا ويتم الضبط الصحيح ليلا لإجراء احتياطي[2] إن انتشار صدى الإذاعة في أوساط الجزائريين جعل السلطات الفرنسية تدرك أهمية هذه الإذاعة في أوساط الجزائريين جعل السلطات الفرنسية تدرك أهمية هذه الإذاعة وقامت السلطات بالتدابير أو المضايقات التالية بحيث أصبح بيع الراديو ممنوعا إلا بتقديم ورقة بذلك تعطى من إرادة الأمن العسكري أو من دوائر البوليس، أما بيع الأجهزة المدارة بالبطاريات فقد منع منعا قاطعا وجرى عمليا سحب بطاريات الغيار من السوق وأصبح التجار الجزائريين عندئذ القيام ومضاعفة عمليات التهريب فرصة لكي يؤدوا خدمة وطنية بالعمل هكذا على توفير حاجة الشعب من بطاريات الغيار بانتظام لا مثيل له، كذلك قامت المصالح الفرنسية المتخصصة الى أبعد حدود التخصص القوية بتجربتها المكتسبة من الحروب الحديثة والمتدربة على ممارسة حرب الموجات سرعان ما تمكنت من تحديد أطوال محطة البث وأصبحت البرامج عندئذ مشوشة بعبوة منظمة وبالتدريج أصبح صوت الجزائر المقاتلة غير مسموع[3].

---

[1] فائزة بكار، إذاعة الجزائر الحرة المكافحة1956-1962. مرجع سابق، ص58.

[2] أحمد حمدي، الاعلام ومهامه أثناء الثورة، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، ص85.

[3] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص84، 85.

واستمر المضايقات على إذاعة الجزائر الحرة المقاتلة، أين تم محاولة قنبلتها ثلاث مرات، أولها في شهر أفريل 1957 ولحسن الحظ لم تكن دقة الالة عالية، المحاولة الثانية كانت ليلة 22، 23 جويلية 1957 محاولة ثانية فاشلة، لتستأنف إذاعة الجزائر الحرة لمكافحة برامجها متحدية الوسائل الحديثة والمجندة لإخماد صوتها، لتأتي بعدها محاولة ثالثة وتختف مرة أخرى شبكة أجهزة راديو لاستشعارات القياسات في دفنها وتحديد مكان وجودها لقنبلتها واستمرت الإذاعة الثورية في بث برامجها قرابة العشرة أشعر واجهت خلالها صعوبات عديدة [1] ولكن بالرغم من المضايقات ظهر شكل جديد من أشكال الكفاح ذلك أن بعض النشرات الموزعة نصت للجزائريين بالمكوث للاستماع لمدة ساعتين أو ثلاث ساعات متتالية وأثناء الحصة نفسها كانت محطة ثانية تقوم بالبث على طول موجة أخرى في مقام المحطة الأولى المشوشة يقول فانون في هذا الصدد "هذا الصوت الذي يحس بأنه حاضر يزداد قيمة بالمقارنة مع أهمية التشويش المنطلقة من محطات العدو، ذلك أن قوة التخريب المعادية هي التي تحدد حقيقة العبارة الوطنية إن كلمة الجزائر المكافحة وصوت كل جزائري وراديو المجاهدين الذي يكاد يتسم بملامح شبحية كل هذا يمنح المعركة أقصى وجودها"[2].

وفي ظل هذه المضايقات الاستعمارية واصلت جبهة التحرير في تطوير برامجها الاذاعية وكانت هذه البرامج أغلبها تذاع باللغات الثلاثة العربية، الفرنسية، والقبائلية ويضاف اليها برامج أخرى تذاع باللغة العربية فقط كبرنامج صدى الجزائر في العالم من أدب الثورة، وأخرى بالقبائلية فقط برنامج يهتم بالشعر تحت عنوان "إنوفا إزافرا وبرنامج المجاهد "ثوريك بل مجاهد"[3].

[1] السنوسي صدار، الإذاعة السرية خلال مدة الحرب. مرجع سابق، ص123.

[2] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص85، 86، 87.

[3] أحمد حمدي، مؤتمر الصومام ومهام الاعلام الثوري، مرجع سابق، ص54.

إن كل عمل لجبهة وجيش التحرير الوطني يبدأ صغيرا ثم يكبر والإذاعة الجزائرية كانت كذلك وما يقلن القول عنها أنها كانت عبارة عن الة من الات الثورة الجزائرية[1].

نستنتج من خلال ما سبق أن الإذاعة الجزائرية صوت الجزائر المكافحة التي نشأت في ظل الفترة الاستعمارية إلا أنها لقيت صدى وترحيب من قبل الشعب وأحدث فيه تغيرات فالفرد الجزائر الذي كان لا يبالي بالسماع الى الراديو والذي يعتبره أداة ناطقة باسم الاستعمار أصبح الان أكثر أهمية لاقتنائه وذلك لسماع صوت الجزائر التي أصبحت مواكبة لمسار الثورة مسمعة صداما في الداخل والخارج.

[1] فائزة بكار، مرجع سابق، ص63.

المبحث الثالث: تأثير الإذاعة الجزائرية على مسار الثورة:

لقد أحدث إذاعة صوت الجزائر المكافحة أثر عميقا ومهما في سيرورة الثورة نظرا لما تقدمه من أخبار شاملة عن الكفاح التحرري في الجزائر مبينة الوجه الحقيقي للاستعمار بحيث أصبح الجزائريون يعتبرون أن الاستماع الى صوت الجزائر المقاتلة هو مطلب للاتحاد يحسم الأمة التي تكافح لاستعادة التشكيلة الوطنية الجديدة والاضطلاع بها ولسماع وترديد الملحمة العظيمة المنجزة في الأعالي بين الصخور، بحيث أن الجزائري يطلع رفاقه على نتيجة الساعات التي قضاها في الاستماع ويرد بالمعلومات المعلنة رسميا من قيادة الثورة[1] وانطلاقا لأهمية هذه الإذاعة في الثورة أولت قيادة الجبهة لها ما يكفيها من ثقل الى جانب العمل العسكري والسياسي، وحددت لها الاطار المكاني والزماني تجنبا لأي انزلاق قد يحدث أثناء وظيفتها الثورية بحيث كان الهدف منها تجنيد وتعبئة الجماهير للوقوف الى جانب الثورة والتصدي للمستعمر الفرنسي، اظهار الوجه الحقيقي له وكشف ما يقوم به من اعمال دنيئة ضد الشعب الجزائري[2].

وابتداءا من عام 1956 أبدى الراديو أصواتا تحمى وتساعد وتختفي منها الشتائم والاتهامات وتفسح المكان للكلمات المشجعة، كما أن التكنيك الأجنبي المهضوم بمناسبة الكفاح الوطني قد غدا أداة للمعركة من أجل الشعب وعنصر واقيا ضد الاضطراب[3].

وكانت إذاعة الحرة المكافحة تعمل باستمرار على رفع معنويات جنود جيش التحرير الوطني وتحفزهم على مواجهة الجيش الاستعماري وتعمل على عرقلة مساعي المصالح السيكولوجية للمستعمر، وقد تلقى طاقم إذاعة الجزائر برقية تهنئة لما أحدثته الإذاعة الثورية

[1] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص86.

[2] أحمد حمدي، مؤتمر الصومام ومهام الاعلام الثوري، مرجع سابق، ص39.

[3] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص89.

من أثر إيجابي في أوساط المجاهدين لدى التقاطهم لبرامجها [1]وبما أن الجزائر الجديدة التي طفقت تسيير قد قررت أن تروي قصتها وأن تنطق فإن جهاز الراديو يصبح لا غنى عنه فهو الذي يسمح للصوت بأن يمد شرايين في القرى وعلى الهضاب وبواسطته يقرر الشعب الجزائري إعطاء دفع جديد للثورة وهكذا أخذ الجزائري وهو يصغي الى الثورة يشعر بانه يوجد معها وبأنه يجعلها توجد هي أيضا[2].

وهكذا حققت إذاعة الجزائر الحرة المكافحة بفضل حنكة المذيعين نجاحا كبير في تبليغ الرسالة الثورية وذلك بالحماس الذي أوجدته بقلب الجزائر أوحت بالدول المساندة للثورة حيث عملت على ابراز نشاطات الثورة تطورها عسكريا وسياسيا وتجنيد العديد من الجزائريين للالتحاق بصفوف جيش التحرير الوطني أو العمل عن بعد مع الثوار، كتوفير التموين ونقل أخبار وتحركات الجيش الفرنسي وغيرها كن المساعدات التي تحتاجها الثورة[3] هكذا فإن صوت الجزائر الذي أنشأ من لا شيء قد جعل الأمة توحد ومنح كل مواطن كيانا جديد وعرفه عليه بوضوح[4].

ومما سبق نستنتج أن إذاعة صوت الجزائر الحركة المكافحة الناطقة عبر الراديو شكلت نقطة تغيير مهمة في مسار الثورة بحيث لقيت الثورة الجزائرية صدى كبير في الداخل ووسط الشعب الجزائري عبر كافة التراب الوطني من المدن والأرياق والقرى، كذلك ساهمت الإذاعة في تنمية الروح القومية للانطلاق في الكفاح من أجل تحرير الأراضي الجزائرية من وطئة الاستعمار وكذلك بينت حقيقته البشعة التي سعى الى تحقيقها في الجزائر بكل الوسائل والأساليب سواءا كانت مباشرة أو غير مباشرة.

---

[1]فايزة بكار، إذاعة الجزائر الحرة المكافحة 1956-1962. مرجع سابق، ص69.

[2]فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية. مصدر سابق، ص93

[3]عواطف عبد الرحمن، الصحافة العربية في الجزائر. دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية 1954-1962. مرجع سابق، ص87.

[4]فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص98.

الفصل الرابع

الوضع الصحي في الجزائر في ظل النظام الاستعماري

المبحث الأول: التنظيم الصحي والعناية الطبية خلال حرب التحرير

1. الوضع الصحي في السنوات الأولى لاندلاع الثورة التحريرية:

لقد جاء الطب الغربي إلى الجزائر مصاحبا مع الروح العرقية ومع الإذلال فقد كان جزءا من الجهاز التعسفي، في حين كان المواطن الجزائري ينظر بنظرة سلبية إلى خدمات المستعمر ك هذا نتيجة الوضع الاستعماري السائد فقد برز فانون الجانب الإيجابي من هذا الموضوع حيث قال: " أنه لأمر حسن أن تعمل بلاد أكثر تقدما في التقنية بموضوعية تامة وإنسانية تامة، على إفادة بلاد أخرى من معلوماتها ومن اكتشاف علمائها وعندما يستهدف الاختصاص المقصود صحة الإنسان ويكون من مبدئه العمل على تسكين الألم، يصبح من الواضح أنه لا يمكن تبرير أي مسك سلبي منه إلا أنه الوضع الاستعماري، إذ التزمنا الدقة بلغ شاورا من الغطرسة بحيث يدفع المستعمر على النظر نظرة سلبية إلى جميع الأمور التي يقدمها المستعمر بلا تفريق "[1]، وبالتالي نجد أن العيادة الإجبارية التي يقوم بها الطبيب الذي لا يكون من أهل القرية تكون وسط جو من الضغط بسبب حشد البوليس للأهالي، وهنا أيضا نجد أن المواطن لا زال يتمسك بأفكاره اتجاه المستعمر فبرغم من الإنجازات الصحية التي تقدمها فرنسا من أجل تحسين مكافحة المرض بصفة عامة، أما الجانب الخفي من أفعالها هو البرهنة على أن هذه البلاد في قبضة المحتل وأن لهذه البلاد ورجالها دين كبير لا يمكن أن يسدوه حيث قال فانون في هذا الصدد: " إليكم ما فعلناه من أجل رجال هذه البلاد، هذه " نجد اعتراف المستعمر الإيجابي هنا فرنسا تحول هذه النوايا في تبريرات لعملية الاحتلال، ولكن من ناحية أخرى الطب الفرنسي جاء بوجه سياسي فوجد مقاومة سياسية[2] فالشعب في بعض المناسبات أو الحوادث يتصرف بعنف قاطع إزاء العديد من القطاعات دون التفريق هنا

[1] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص 127.

[2] مصطفى خياطي، الطب والأطباء في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، منشورات ANEP، طبع المؤسسة الوطنية للاتصال، النشر والإشهار، وحدة الطباعة الرويبة، 2014، ص 229.

نستخلص أفكار الشعب حيث قال: لم يكن أحد منا شيئا منكم فمن ذا دعاكم ؟ خذوا مستشفياتكم وتجهيزاتكم المرافئ وعدوا إلى بلادكم[1]، فبعض الأطباء الفرنسيين الذين تواجدوا في الجزائر تركوا شهاداتهم حول هذا الموضوع الدكتور " بيرترندا " استنتج رفض السكان الأصليين القاطع للقاح الأوربي[2]. وبما أن الاستعمار يرتكز على الاحتلال العسكري بالدرجة الأولى فإنه يفرض شرعية بقاءه والقيام بأعماله فالمستعمر هنا يجد نفسه محاصر بمجرد قوله كلمة نعم لبعض أشكال وجود المحتل فيجد نفسه قد أصبح حبيس النظام كله لما حقيقة العمل الطبي في الجزائر ما هي إلا شكل من أشكال السياسة الاستعمارية فالشعب يجد نفسه أمام اختيارات محددة رغم رفضه للأطباء والمعلمين والمهندسين، فقد كان موقف الجزائر بين مضطر اتجاه الطب الفرنسي هذا الوقت كان موازيا ولنفس الأسباب مع موقفهم تجاه التعليم الفرنسي مثلما أشار " أيفون تورين " وكان هذا واضحا من خلال رفضهم اللقاحات ضد الجذري المقترحة من قبل الفرنسيين ورفض جعلها بديلا لما كانوا يستخدمون آنذاك. ورفض كل المعايير الصحية المقترحة من طرف الأطباء الاستعماريين، وأيضا رفض ارتياد المدارس الفرنسية بما فيها مدرسة الطب وهذه لعدة عشريات.[3]

إن الرجل المريض وسط هذا المجتمع المتجانس نجده على ثقة بالهيئة الطبية فهو قد استسلم للطب وسلمه جسده بفحصه رغم أن بعض الشكوك تبادر ذهن المريض إلا أن تردد الطبيب هو الذي يمنحه الثقة فيه ولا يكون المريض في مجتمع متجانس حذرا من طبيبه في أية لحظة من اللحظات ومن الواضح على مستوى التكتيك والمعلومات أن شكا ما يمكن أن يتسرب إلى فكر المريض إلا أن تردد الطبيب هو الذي يصحح الثقة الأصلية.[4]

[1] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية. مصدر سابق، ص 129.

[2] مصطفى خياطي، الطب والأطباء في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية. مرجع سابق، ص 229.

[3] نفسه، ص 228 ص 229.

[4] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص 129.

هذه الحالات لا تنطبق كثيرا على الجزائريين فالجزائري يفسر الموت في المستشفيات وهو شيء دارج في أي تشكيل صحي على أنه ناتج عن تصميم للقتل، واع وعلى أنه نتيجة مناورات إجرامية من الطبيب الأوربي، وينطوي رفض الجزائري الدخول إلى المستشفى دوما على هذه الغلالة من الشك في إنسانية الطبيب المسيطر العميقة، ويجب القول بأن عملية الاختيار على الحي وإن كانت ليست القاعدة في الخدمات المتعلقة بالمشافي تمارس بنسب لا يمكن التغاضي عنها[1] وحتى بعد عشرات السنين لا زال الجزائري يتهرب من الدخول إلى المستشفى بالرغم من النصائح المقدمة من الطبيب حول صحة المريض وأن أي تردد يعرض حياة المريض للخطر فإنه لا زال متمسكا بفكرة عدم الانتقال للمستشفى إلا نادرا في اللحظات الأخيرة التي دائما بعد نفاذ الأمل، وحتى في هذه اللحظات الأخيرة وتكون الحالة ميؤوسا منها فيكون الموت حتمية لأن القرار متأخر نجد مجموعة معارضة لقرار هذا الرجل فهذه الحالات والتجارب تكون مجالا لترسخ جماعة معينة اعتقادها بالطابع السيء للمحتل حتى وإن كان طبيبا فبالتالي لها تأثير على الجزائري الذي استبعد أساليب الوقاية التقليدية وفرض قرار دخول المستشفى حيث يشعر بالذنب وعودته حالا إلى قيم المجموعة والتمسك بها، ولم تكن هناك مهنة للأطباء إنما الذين يقومون بالعلاج غالبا ما يداوون مرضاهم مستخدمين الطرق التقليدية أو الأعشاب الطبية، أما أعمال الجراحة فيتكفل بها الحلاقون الذين يستعملون الكي[2]، وإن تعمقنا في فكرة قرار دخول المستشفى نجده لا يرفض فكرة دخول المستشفى وإنما بسبب تخوفات من ردود فعل بعض الجهات حيث وضح فانون هذا قائلا: " فإن الرجل المستعمر الذي يظهر تردده بالدخول إلى المستشفى لا يفعل ذلك منطلقا من قيم متجانسة مثل الخوف من المدينة والخوف من الإقصاء والخوف من ألا يكون في حماية منزل الأسرة والخوف من رواية الجواز أن أهله قد أرسلوه ليموت في المستشفى وأنهم بذلك يتخلصون من عبء ما،

[1] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية. مصدر سابق. ص 130.

[2] أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر بداية الاحتلال، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د. س، ص 168.

والرجل المستعمر لا يرفض إرسال المريض إلى المستشفى وحسب وإنما يرفض إرساله إلى مستشفى البيض، ومستشفى الأجانب أي مستشفى المحتل على كل حال "[1] فالمريض الجزائري يفضل صنع التعاويذ والحجامة كعلاج له على أن يتلقى العلاج والرعاية الطبية والعناية الصحية من المستعمر، فقد كان الطب الشعبي هو البديل وهو مرادف للطب الطبيعي، حيث ظل الطب التقليدي طوال القرن التاسع عشر والعشرين الملجأ الوحيد للجزائريين معتمدين في ذلك على استخدام النباتات الطبية التي يتم جمعها محليا لمعالجة مختلف الأمراض مثل الحمى بأنواعها، الإسهال، المغص، الجذري، الطاعون إلى جانب الوسائل التقنية المحلية كالفصد والكي والحجامة إلى جانب التداوي بالطب الديني النبوي، وحتى استعمالهم الطلاسم والتعويذات وعزائم لشفاء الإصابات والكسور.[2]

2. الاستشارة الطبية:

إن الرجل المستعمر عند ذهابه للطبيب يكون على تصلب ولا يعترف ولا يكشف عن نفسه بوضوح فهو يجيب بكلمات محددة فقط وهذا ما يثير نفاذ صبر الطبيب، فهذا الأخير عند عدم حصوله على معلومات كافية يلجأ إلى الفحص الإكلينيكي ظانا بأن الجسد سوف يكون إفصاحا لكن العكس فالرجل المستعمر يكون عنيد حتى العضلات في حالة تصد وليس استرخاء فهذا الرجل يكون على استعداد في مواجهة خبير ومستعمر في آن واحد، وهنا لا بد من الإصغاء إلى تأملات الأطباء والأوربيين الذين فحصوهم فالمرضى على الأطباء إنهم لا يوصون لنا بالثقة بينما الأطباء يؤكدون أن المستعمر لا يعرف ماذا يريد الشفاء أو البقاء مريض في حين المواطن الأعلى نجده يقول: " إن الإنسان يعرف كيف يدخل عليهم ولكن يجهل كيف سيخرج من عندهم وفيما إذا كان سيخرج[3]، فالمستعمر هنا يعتبرها مقاومة ضد

[1] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص 131 ص 132.

[2] مصطفى خياطي، الطب والأطباء في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، مرجع سابق، ص 59.

[3] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص 135.

فرنسا هذه المقاومة التي تمثلت في عدم الوثوق في كل ما هو فرنسي[1]، فنجد بعض الأطباء عند عدم قدرتهم على معرفة المرض وتعصب المريض في الإفصاح عن مواضع الألم يتفوهون ببعض الأقوال منها ما ذكره فانون: " إن الطب لا يمارس مع هؤلاء الناس وإنما الفن البيطري هو الذي يصلح لهم[2]، لكن الطبيب في الأخير تكون له فكرة تقريبية عن المرض ففي ظل هذه الظروف دعا بعض الأطباء الفرنسيين الرعاية الانتقالية لعدم تشويه الطب الاستعماري عن طريق علاج الأمراض التي يمكن علاجها تماما فكان من الممكن تجنب القتل للأسف كثير من المرضى لا نستطيع أن نفعل لهم شيئا.[3]

إن المستعمر بعد الاستشارة الطبية وعدم إبرازه الأدوية يعتبرها نصرا في مواجهة المستعمر فوصف فانون هذا قائلا: يعتبر المستعمر نفسه منتصرا عندما ينجو من الطبيب ويبقى جسده بتمامه مصانا، فالاستشارة الطبية بالنسبة للمستعمر هي دائما بمثابة إمتحان عسير، وعندما تكون الطائلة التي يحررها عليه المستعمر لا تعد وحبوبا يجب ابتلاعها أو دواء للشرب فإن المستعمر يحس بشعور الانتصار على العدو[4] وبالتالي فإن للجزائري نظرة معينة اتجاه التدخل الطبي فإن مسلك الرفض والإمتناع في وجه التدخل الطبي لا يكون رفضا للحياة وإنما هي سلبية أكبر أمام هذا الموت القريب والمعدي، ومن زاوية أخرى فإن انعدام التصرف المستنير يؤكد احتراز المستعمر من الخبير المستعمر، إن كلمات الخبير تأخذ دوما مأخذ سلبيا وتفسد الحقيقة الموضوعية المعبر عنها. على الدوام بسبب من أكذوبة الوضع الاستعماري.[5]

---

[1] مصطفى خياطي، الطب والأطباء في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، مرجع سابق، ص 229.

[2] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية. مصدر سابق، ص 135.

[3] مصطفى خياطي، الطب والأطباء في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية. مرجع سابق، ص 235.

[4] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص 135.

[5] نفسه، ص 136.

3. التنظيم الصحي والإجراءات الوقائية:

إن عدم انتظام المريض الجزائري في تناول الدواء أو الخطأ في المقادير وطرق التناول واستهزاء بنظام الطعام وعدم إعطاء الزيارات الدورية أهمية أكثر الحالات شيوعا وسط الشعب الجزائري فمخادعة المريض طبيبه ما هي إلا اكتشاف الجزائري بأنه مريض مسكين رغم جهود الطبيب المبذولة ومعاونيه الممرضين من تخفيف هذه الحالة الراهنة وعلى الرغم من النصح بأن المرض يتطلب الفحص والعناية والمراقبة الطبية في فترات محددة على الرغم من إسداء النصح أثناء ذلك بأن مرضه يتطلب الفحص من أجل الشفاء عدة مرات في فترات محددة ويكون ذلك كله مكتوبا على الوصفة ويشرح له ثم يعاد عليه شرحه ويضرب موعدا قاطعا مع الطبيب في تاريخ معين[1]، فالمريض هنا لا يلتزم بعلاجه على أكمل وجه رغم الوعود القاطعة التي يعديها الطبيب وحتى إن عاد بعد شهور وبعد تطور المرض، والأمر الأشد خطورة هو أن الدواء لا يكون قد استعمل[2] فالمواطن الأصلي يحزم في الشفاء مرة واحدة أو يلجأ إلى زيارات المزار وصنع التعاويذ وإتباع تعليمات الشبح الروحاني أو الساحر كل هذه الأمور العلاجية يتم تعاطيها دفعة واحدة أملا في الشفاء فقد كانت لكل منطقة طريقة خاصة في العلاج فسكان الشرق الجزائري استعمل النباتات الطبية للتداوي، وقد كانت لهم تجارب ناجحة في هذا المجال إلا أنه عند ظهور الأوبئة الفتاكة السريعة الانتشار كالطاعون، التيفوس والكوليرا فإنهم يعجزون عن معالجتها[3]. أما في المنطقة العربية وتحديدا في منطقة تلمسان فيعالجون وجع الرأس عن طريق الأعشاب بحيث يستعمل بخور من أوراق الخروب وأقراص من الكين كينة وهذا ما أشار إليه عبد الرزاق ابن حمادوش حين مرض بالحمى وهو بالمغرب[4] أما

---

[1] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص 137.

[2] نفسه، ص 137.

[3] يحي بوعزيز، الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن التاسع عشر، ضمن كتاب تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، 1999، ص 41.

[4] عبد الرزاق بن حمادوش، كشف الرموز في شرح العقاقير والأعشاب، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، رقم 1764، ص 84.

بالنسبة للالتهابات الرئوية كالسل كانت طريقتهم الخاصة في العلاج تعتمد على استعمال بخور أغصان الدفلى كعلاج.[1]

لقد رأينا بأن السيطرة الاستعمارية تحرك لدى الرجل المستعمر جملة من التصرفات المنقبضة ومواقف الرفض وتغذيها[2]، كل هذا إلا أن المستعمر لا يستطيع رفض كل الأمور الجديدة فقد توجب على الجزائريين الاستفادة من مصالح التمريض التي وضعت تحت تصرفهم بالقرب من تجمعات القبائل وقليل من هذه المصالح كانت تتوفر على طبيب دائم.[3]

إن المستعمر لا يستطيع أن ينبذ تماما الاكتشافات الحديثة وترسانة الكفاح ضد الأمراض المتمثلة بالمستشفيات وسيارات الطوارئ والممرضات ... ولكن الرجل المستعمر الذي يقبل بتدخل التكنيك الطبي في عيادته يصبح معرضا إن لم يذهب إلى المستشفى لضغوط هامة من قبل جماعته، ذلك أن طرق العلاج التقليدية تطبق على عدة أشكال إلى جانب التكنيك الطبي الحديث " دواءان أفضل من دواء واحد "[4] فالمستعمر هنا حتى وإن تحتم عليه الأمر واستعمل دواء الطب الأجنبي فإنه في الوقت نفسه يضل يتابع علاجه عند الشيخ الثاني في قريته وبمجرد أن يأخذ المريض جرعة من البنسيلين فقد ينتابه شعور غامض بأن البنسيلين أشد فعالية فهنا لا يمكن للمستعمر أن ينبذ الطب التقليدي وذلك راجع إلى الأسباب السياسية وسيكولوجية والاجتماعية، فبالتالي لا يمكن بسهولة أن يتخلى عن عادات جماعته وردود فعل ثقافته في مواجهة المرض حتى وإن كان ارتشاف الدواء لمرة واحدة يعتبر ثقته وتقبله للطب الأجنبي وهذا ما أشار إليه فانون قائلا: " فارتشاف الدواء وإن لم يكن إلا مرة واحدة يكون تقبلا

[1] شونبيرغ أف، الطب الشعبي الجزائري في بداية الاحتلال، تر: أبو العيد دودو، منشورات وزارة الثقافة، مديرية الفنون والآداب، الجزائر، 2004، ص 04.

[2] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص 138.

[3] مصطفى خياطي، الطب والأطباء في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية. مرجع سابق ص230

[4] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية مصدر سابق، ص138.139.

ربما على علم الطب الأجنبي وتجرعه للكمية المقررة كلها دفعة واحدة يعني بالضبط أنه أدى ما عليه لهذا العلم ".[1]

[1] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص 139.

المبحث الثاني: المنظومة الصحية الفرنسية خلال حرب التحرير.

1. المستعمر والطبيب الأهلي:

لم يكتفي الوضع الاستعماري السائد في إفساد علاقة الطبيب المريض فحسب بل بين أن الطبيب كوسيلة أو جزء من الوسائل الاستعمارية، وسوف ترى أن هذا الالتباس الذي يبعثه التكنيك الطبي عند المريض نجده حتى إذا كان الطبيب ينتمي إلى الشعب الواقع تحت السيطرة[1]، إذ نجد الشعب ينظر إلى عضو قد اكتسب خبرة المحتل نظرة ازدواجية إزاء كل عضو منها يكتسب خبرة المحتل أو أساليبه إذ يكون الخبير من الأهالي الأصليين بالنسبة للجماعة برهانا حيا. وكذلك اعتقاده بقدرة أي عضو بأن يكون مهندسا أو محاميا أو طبيب ولكن هذا يكون في الوقت نفسه في الخلفية.[2]

وكما ذكر نازويت الجماعة المستعمرة هي عضو يحمل أسلوب المحتل نظرة مختلفة كذلك هو الحال بالنسبة للطبيب الأهلي فقد وصفوه بطبيب متأورب وهو يعتبر في بعض المناسبات كأنه لم يعد يشكل جزءا من المجتمع الخاضع للسيطرة، فإنه بصورة مضمرة قد قذف به في معسكر الطغاة في المعسكر الخصم ويكون من قبيل الصدفة إذ استعمل هذا التعبير لوصف الرجل المتطور في بعض المستعمرات: " لقد أخذ بعادات السيد[3] فقد كان المساعدون الطبيون طيلة مسارهم يحسون بالتقصير في حقهم، كانوا يرغبون في أن يصبحوا أعوانا فاعلين في التغير الاجتماعي وتحسين الصحة.[4]

فيشبه بعض المستعمرين الطبيب الأهلي بالشرطي أو القايد فالرجل المستعمر تجده يفتخر بنجاح فصيته العرقية وفي نفس الوقت له اتجاهه نظرة سلبية، فالطب الأهلي يسلك

---

[1] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص 140.

[2] نفسه، ص141.

[3] نفسه، ص 142.

[4] يمينة مجاهد، تاريخ الطب في الجزائر في ظل الاستعمار الفرنسي 1830 – 1912م، مرجع سابق، ص 134.

مسار عدائي اتجاه الطب التقليدي لبلاده وذلك لمدة طويلة، فهذا الأخير من الناحية البسيكولوجية يشعر بأنه مجبر على الانتساب إلى العالم العقلاني الجديد ورفض ممارسة شعبه السحرية، وبالتالي ينظر إليه المستعمر نظرة مزدوجة في حين الطبيب الأهلي نفسه ينظر نظرة ازدواجية اتجاه ملامح ثقافته فهنا المستعمر المريض هو الذي حدد طبيعة العلاقة بينه وبين الطبيب خاصة بعد الاعتراف الفعلي بنجاح التكنيك الغربي على العلاج التقليدي وقد وضح لنا فانون كيفية النزوح للطب الغربي من قبل الجزائريين حيث قال: " منذ ذلك الوقت الذي اعترف فيه فعلا بتفوق التكنيك الغربي على طرق العلاج التقليدية يرى أن من الأفضل التوجه إلى المستعمرين الذين هم في الحقيقة ' المالكون الحقيقيون لزمام التكنيك ' وبات من المألوف على صعيد الزبائن أن يرى الإنسان مثلا أطباء أوربيين يستقبلون مرضى من الجزائريين والأوربيين في وقت واحد، بينما يكون زبائن الأطباء الجزائريين عادة من الجزائريين وحدهم "[1]، هنا نرى تغير وجهة نظر الجزائري اتجاه طرق العلاج وبالتالي هناك عدة عوامل تتحكم في الوضع الصحي آنذاك ولاسيما الوضع السائد في الجزائر.

2. الطبيب الأوروبي أثناء كفاح التحرير:

إن الطبيب المستعمر كان بمثابة عملة ذات وجهين تبنى الكفاح ضد الشعب الجزائري ومن جهة أخرى مضمد الجروح الإنسانية لكن صورته الحقيقية تجلت في كونه عضو من المجتمع المسيطر يحظى بحياة من النعيم في خيرات الجزائر، وبالتالي فإن مسألة اختبار الأطباء للمستشفيات المدنية في إفريقيا مسألة خطيرة حيث باستثناء واحد أو إثنين من الأطباء المقيمين الذين يقومون بعملهم جيدا لا نجد في مناطق مختلفة من الجزائر سوى أطباء دون المستوى بأخلاق غير معروفة وأغلبيتهم من جنسيات أجنبية من بينهم لا يكمن للإدارة أن تضمن الموظفين المختارين ليس فقط لضمان الصحة العامة، ولكن أيضا تشغيل الفحص اليومي بدقة

[1] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص 141.

إدارات المستشفى[1]. فالطبيب في مراكز الاستيطان نجده من أحد ملاك الأرض سواء كانت تعود لأسرته أو اكتسبها شخصيا، فالطب يمثل الفرد المعمر في الأرض الجزائرية، حيث يمارس نشاطه بوصفه صانعا أو خبير في استصلاح الأرض أو مغامرا، وبالتالي فإن المستعمر هو مجتمع متحرك لا يتميز بالثبات والفروق الموجود بين العمال والموظفين غير محددة فمثلا المحامي يعتني بحقوله من الأرز بجد كأي معمر، كما هو الحال بالنسبة للطبيب فهو لا يحدد مستواه الاجتماعي بمهنته فحسب فهو أيضا صاحب مهنة حرة صاحب مطاحن، بساتين، خوابي للخمر، وعلى حد تخمين الطبيب، هو يقدم طبه للناس بغنج على أنه تكملة بسيطة لرصيده[2] إن ممارسة الطب وزعت على لاجئين من دول مختلفة من أوروبا ومعظمهم يفتقرون إلى المعرفة والشهادات القانونية[3] إن كل مفاهيم الغطرسة الاستعمارية من احتقار للزبائن والتصرفات السيئة مع المريض وأهله وفقدان الضمير كل هذه الصفات تجسدها جملة: " إنني لا أعيش من وراء الزبائن ".[4]

إذ كان الطبيب ذو حزمة من القيم فإنه قد اكتسبها من انتمائه في الأحزاب الديمقراطية والأفكار المعادية للاستعمار، فالطبيب في المستعمرة هو رجل السلطة والسيطرة والاستغلال فإذا وجدنا الطبيب الجزائري متقبلا للاضطهاد الاستعماري فهذا لا يرجع لقيمته ومبادئه إنما هي مسألة حياة رفاهية يوفرها له الاستعمار وهذا ما يفسر أحيانا تحول الأفراد إلى رؤساء عصابات وميليشيا، ذلك أن الطبيب يكتشف أحيانا في منطقة ما أنه أكثر السفاحين سفكا للدماء وأشد المستعمرين فتكا ولم تعد صفته كطبيب توضع في الحسبان وكما أنه أصبح طبيبا وعلى هذا نظمت السلطة المسيطرة مسلك الطبيب برمته بإزاء كفاح التحرير وهكذا يجب على كل طبيب تحت طائلة الملاحقة الجنائية يساعد جزائريا يبدو الاشتباه له بجرحه أن يأخذ اسم

[1] مصطفى خياطي، الطب والأطباء في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، مرجع سابق، ص 236.

[2] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص 143.

[3] مصطفى خياطي، الطب والأطباء في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية مرجع سابق، ص 236.

[4] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص 143.

هذا المريض وعنوان وأسماء الذين يصحبونه وعناوينهم وأن يسلم الملف الخاص بهم إلى السلطات.[1]

أما بالنسبة للصيدلة فقد كان الوضع صارما بحيث لا يقدم أي نوع من الدواء والإسعافات (كحول – ضماد – معقم) دون وصفة طبية مع التأكيد على تسجيل هوية المشتري وعنوان المريض، لم يكن أمر حصول الجزائر على الأدوية بالأمر الهين فظهرت كمسألة استراتيجية فأحدثت شيكات التموين التي تتكفل بشرائها ونقلها إلى القسمة ومنها إلى الناحية حيث يستلمها صيدلي الناحية[2]، فقد كانت شبكات التموين هي التي تتكفل بالحصول على الأدوية بعدما كان الاحتلال الفرنسي لا يراقب عملية نقلها، لكن بعد سنة 1958 صار يفرض رقابة شديدة على المستشفيات والصيدليات ويصادر الأدوية التي يجدها عند المواطنين مما أدى في كثير من الأحيان إلى نقص كبير في الأدوية التي كانت تستعمل في العمليات الجراحية، فقرر جيش التحرير الوطني تنظيم عملية توزيعها على المراكز بطريقة دقيقة من خلال دفاتر الاستلام والتوزيع، ويتم الحصول على الأدوية عن طريق الشراء والتبرع وتلك التي ترد إلى مختلف المرضى، وفي بعض الأحيان يقدم الممرض قائمته إلى المسبلين لشرائها من الصيدليات[3] وفي عملية هذه الإجراءات تأكد الشعب الجزائري أن الاستعمار مصمم على محاربته بشتى الطرق خاصة الصيدليات التي يديرها جزائريون وبالتالي أصبح تموين بعض الأقاليم بالأدوية بمسألة جد صعبة لذلك كانت إحصائيات خسائر الجزائريين وجرحاهم كبيرة وتجلى هذا في قول فانون: " أعتبرهم في عدد الأموات لانعدام وسائل العناية ".[4]

---

[1] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص 145.

[2] علي كافي، من مناضل سياسي إلى قائد عسكري 1946 – 1962م، مرجع سابق، ص 104.

[3] العياشي علي، مصلحة الصحة بالولاية السادسة، مجلة أول نوفمبر، ع 106 – 107، جويلية / أوت 1989، ص 12 ص 17.

[4] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص 146.

فرغم شرافة مهنة الطب إلا أن الطبيب المستعمر يبدي بعض مواقف انتسابه إلى المجتمع المتسلط، فعند التحقيقات القضائية مع الجزائريين كان يحدث المحامي الدفاع طلبه بإجراء فحص طبي شرعي وكانت الموافقة له أحيانا إلا أن الطبيب الأوروبي المعين لذلك يخلص دائما أن المتهم لم يتعرض لأي تعذيب وحتى في حالات الموت تحت التعذيب أو الإعدام إذا اقترن طلب الدفاع لتشريح الجثة بالموافقة إلا أن النتائج تكون دائما سلبية، هكذا فإن الطبيب الأوروبي على صعيد التكنيك الصرف يتعاون بفعالية مع القوى الاستعمارية[1]، ونجده أيضا قد تبنى أعمال القتل أيضا ونسلط الضوء على الحقنة الحقيقية التي هي عبارة عن مادة كيميائية منومة تحقن في الشريان تفقد الشعور وهي أخطر ما يكون في تلف شخصية الفرد، وأن جميع أكاديميات الطب في جميع بلدان العالم قد أنكرت صراحة ممارسة هذا العمل لغايات قضائية ويضع الطبيب الذي يخرق هذه التعليمات الشرعية نفسه بالطبع خارج المبادئ الأساسية في الطب[2]، وأن استعمال تلك الحقنة كان بوتيرة مذهلة حيث خضع لها كل من النساء والرجال وأهم أعراضها أنها تترك الفرد في حالة لاشعور وإن كان يحمل في ثناياه أي سر من أسرار الثورة فبعد شهور من التعذيب يبقى السجين لا يبوح لا عن اسمه ولا اسم مدينته، في حين يكون أطباء آخرون على تأهب دائم في إعداد جلسة تعذيب أخرى وأخرى لاستجواب السجين والأهم هو إبقاءه حي لا غير مع التكرار المستمر يوميا.

إن تصرف الهيئة الطبية الأوروبية في الجزائر اتسم بالخزي والفساد على حساب الأخلاق المهنية واحترام الذات والغير، قد مارسوا أنواع التعذيب منها ما هو أقصى كالصدمات الكهربائية. تعتبر هذه العملية من أشنع العمليات التعذيبية التي تسلط على الفرد حيث لا تبقي أثرا باديا للعيان إذا عولجت بقاياها وتقع العملية ليلا، يمدد المتهم عاريا على طاولة وتقيد رجلاه ويداه ثم يفرغ عليه الماء لتعميم التيار الكهربائي عند إرساله، وهناك يسلط التيار على

[1] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص 147.

[2] نفسه، ص 147.

الأعضاء الحساسة من جسم الرجل أو المرأة المعذبة وهي الأذنان واللسان والأعضاء التناسلية والنهدان وتبلغ الآلام درجة من الشدة تجاوز كل وصف ويرى الإنسان يتلوى ويتعذب من شدة الصدمة الكهربائية رغم القيود[1]، وعندما لا تجدي نفعا يطلق سراح هؤلاء السجناء فترد جثة هامدة، شخصية ممزقة يصعب بنائها من جديد فتجريد الفرد الجزائري من ماهيته من أكبر الجرائم صعوبة قد طبقها الاستعمار.

3. التكنيك الطبي أثناء حرب التحرير:

بالإضافة إلى ما ذكرناه سابقا من تضييق الخناق على الجزائريين من الجانب الصحي والجرائم التي مارست في حقهم كل هذا لم تكتفي السلطات الفرنسية فقد أعطت أيضا أوامر صارمة للصيادلة تمنعهم فيها من بيع الأدوية للجزائريين إلا بتقديم معلومات مفصلة عن حالته الشخصية وهوية المريض، ففي اللحظة التي يقرر فيها الشعب الجزائري عدم الانتظار لعلاجه يقدم النظام الاستعماري على منع بيع الأدوية إليه والأدوات الجراحية وفي اللحظة التي يريد الجزائري فيها أن يحيا ويعتني بصحته فإن القوة المحتلة تحكم عليه بأن يكابد نزاع الموت المرعب[2]، وبينما قرار الصيادلة قاطعا في ممنوع بين الحقن هنا يصف لنا العشرات من الجزائريين الموت وهو يموتون بالكزاز رغم التعليمات التي أصدرتها جبهة التحرير الوطني في الأشهر الأولى للثورة وهي يجب أن يتبع كل جرح مهما كان طفيفا بحقنة من المصل الواقي من الكزاز[3]، هنا اضطر الجزائريون إلى الاستعانة بأحد الأوروبيين في شراء الدواء، فيعود الأوروبي ويداه مليئتان بالأدوية مستريحا، بريئا، وهذه التجارب لم تسهل على الجزائريين الوصول إلى التميز في أحكامه عن الأقلية الأوربية[4]، ففي غياب الأدوية يلجأ المستعمر إلى الطب الشعبي لتخفيف الألم، فهنا السلطات الاستعمارية استعملت الأدوية كورقة رابحة في

---

[1] محمد الصالح الصديق، كيف ننسى وهذه جرائمهم، دار هومة، الجزائر، 2009، ص 142.

[2] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص 150.

[3] نفسه، ص 151-150.

[4] نفسه، ص 151.

تضييق الخناق على المجاهدين بعدما كانت تستعمل هذه الأدوية آليا، فبعد حرب التحرير اكتشف جبهة التحرير بأنه لا بد من اتخاذ تدابير على إقامة نظام صحي، فبداية العمل المسلح كانت مرتبطة منذ البداية بتنظيم عمليات العلاج وإسعاف المرضى والجرحى حسب الإمكانيات المتوفرة فكان العلاج في البداية بالمكان الذي وجد به المصاب خصوصا الأماكن القريبة من المدن، حيث ينتقل الطبيب أو الممرض المنظم إلى الثورة من مكان عمله إلى المكان الذي أصيب فيه المريض خفية لتقديم العلاج وتقديم الإسعافات الأولية ويعود إلى مركز عمله[1] وهذا ما أدى إلى انضمام الطلاب في الطب والممرضين والأطباء فقد كان التنظيم الصحي من بين القضايا التي طرحت على مائدة المناقشات بين قادة الثورة خلال مؤتمر الصومام، وخضع هذا الأخير " التنظيم الصحي " بصفة مباشرة للتقييم الترابي الذي وضعته جبهة التحرير في بداية العمل المسلح وتكرس هذا التقييم بصفة نهائية غداة مؤتمر الصومام في 20 أوت 1956م[2]. فبعد الوقوف طويلا على الوضع السائد أخذت السلطة الوطنية على عاتقها صحة الشعب وضرورة تخليه عن سلبيته القديمة والأخذ بالتوجيهات، هنا تغيرت نظرة الشعب إلى الطبيب الجزائري الطبيب الأهلي الذي وصف قبل المعركة الوطنية على أنه سفير المحتل ها هو الآن يندمج ضمن جماعة يتقاسم المأساة مع الشعب، ويقول فانون في ذلك: " إنه لم يعد ' الـ ' طبيب، وإنما أصبح طبيب ' نا ' وخبير ' نا ' "[3] وبعد ذلك الحين أصبح الشعب بحد ذاته يطالب بتكنيك طبي غير التكنيك الطبي الأجنبي لكل هذا بسبب حرب التحرير التي أدخلت الوعي للشعب، ولم تكن سياسة الحصة لجبهة التحرير والجيش الشعبي الوطنيين تقتصر فقط على الاعتناء بالمرضى والمصابين من الجنود، بل كانت أيضا تعتني بتطوير وترقية النظافة والوقاية وقد كانت النظافة الجسمية ممثلة بالقواعد التالية: حلق اللحية، حلق الشعر، قص

[1] المنظمة الوطنية للمجاهدين، التقرير السياسي، ج1 (1956 – 1958)، ص 43.

[2] محمد تومي، طبيب في معاقل الثورة حرب التحرير الوطني 1954 – 1962، سلسلة المترجمات، طبعة خاصة، وزارة المجاهدين، 2010، ص 42.

[3] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص 153.

الأظافر، نظافة الهندام، فلي الشعر بطريقة نظامية، غسل الأيدي قبل كل وجبة، وغسل الأسنان جيدا بعد كل وجبة[1]، وهكذا نرى الشعب يريد أن يشفى ويريد أن يعالج نفسه ويرغب في فهم شروح الأخوة الأطباء أو الممرضين وفتحت المدارس للممرضين والممرضات[2]، ونلاحظ أن الشعب لقي استجابة كبيرة للتعليمات الجديدة وانهيار للأوهام القديمة، بل إن حتى تلك التوجيهات التي كان يعصب تقبلها من المجموعات البشرية المتقدمة جدا في التقنية قد أصبحت تستوعب من قبل الجزائري[3] وبالتالي فإن كل فرد أصبح يقوم بعلاج واستشارة طبية مستمرة صحية مفيدة جدا للشعب الجزائري من خلال التوعية فالشعب الذي يتسلم زمام قدره بيديه يستوعب بإيقاع يكاد أن يكون خارجا للعادة أحدث أشكال التكنيك[4]. ونستنتج أن نظرة الجزائري للأطباء تغيرت وبشكل كبير حيث تجسد ذلك ولوحظ في موقفه اتجاه المستشفيات التابعة للمحتل، اذ يحدث بأن تقضي الضرورة الحصول على دواء أو تعذر إجراء عملية جراحية في أوساط المقاومة في الجبل كان على الطبيب أن ينصح المدني بالانتقال إلى مستشفى يدار من قبل الفرنسيين.

[1] مصطفي خياطي، المآزر البيضاء خلال الثورة الجزائرية، منشورات (ANEP)، تر: نسيبة غربي، 2013، ص 22.

[2] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، مصدر سابق، ص 155.

[3] نفسه، ص155-156

[4] نفسه، ص 156.

خاتمة

خاتمة:

إن الدراسة التي قمنا بها حول تحليل كتاب فرانز فانون " العام الخامس للثورة الجزائرية " نستنتج مجموعة من النتائج حول إشكالية الدراسة.

دراستنا لشخصية فرانز فانون الذي يعد من أهم مشاهير إفريقيا والمثقف الفرنسي ذو الأصل المارتينكي الذي حمل فكرا مناهضا للفكر العبودي والقهر الإنساني بعد إدراكه لعواقب الاستعمار الفرنسي على أي بلد يبتلى به لأنه عاشت ذلك في وطن المارتينيك الذي احتل من طرف فرنسا.

إن تواجد فرانز فانون بالجزائر وعمله في مصلحة الطلب العقلي بالبليدة جعله يتأثر بالثورة الجزائرية حيث استقال من منصبه وأصبح عضوا فعالا في دعم الثورة الجزائرية.

بقدر ما تقرب فانون إلى الثورة الجزائرية بقدر ما احتضنته هي الأخرى بتوليه وتعيينه في عدة مناصب بداية من الإشراف على القسم الفرنسي لجريدة المجاهد إلى غاية تمثيلها في المؤتمرات الإفريقية لتنجح الدبلوماسية الجزائرية في إفريقيا.

إسهاماته أيضا في إنشاء الجبهة الجنوبية التي فكت عن الثورة الجزائرية ومدتها بالسلاح وكل ما تحتاجه.

ساهم فانون بعدة كتابات مدافعا فيها عن قيمة الإنسان للفرد متنقلا إلى الدفاع عن حق الشعوب في تقرير مصيرها فمثلا كتابه العام الخامس للثورة الجزائرية والذي هو محور دراستنا حيث تطرق فيه إلى التغيرات التي طرأت على عدة جوانب منها:

- ❖ مساهمة الثورة الجزائرية في تطوير وتحويل وتغيير الأسرة الجزائرية وتجسد هذا التغيير في الانسجام والتماسك بين أفراد الأسرة بحيث أن الثورة ساهمت بشكل كبير في إفلات الاعتبارات التقليدية الخاصة بحيث أصبح كل فرد من الأسرة له مهمته الخاصة الفعالة في الأسرة أي التخلص من التسلط القائم في القديم.

❖ كذلك دور المرأة الفعال في الثورة التحريرية من خلال احتضانها لها بالوقوف إلى جانب أخيها المجاهد بالجبال سواء في المدن والأرياف فحملت السلاح والقنابل ونقلت الوثائق والأخبار واستقبلت المجاهدين في منزلها وعالجت المرضى والجرحى، كذلك دورها في المدن من خلال عملها فدائية ومناضلة ونلاحظ أيضا أن المرأة تعددت مشاركتها في المظاهرات الشعبية ومشاركتها في مواجهة العدو إلى جانب الرجل في ساحات القتال وكفاحها حتى الاستشهاد.

❖ ونخص بالذكر الفئة الأخرى التي كانت مساندة للثورة الجزائرية ألا وهي الأقلية الأوربية التي نجد دعمها اللامتناهي للثورة عامة وجبهة التحرير خاصة من خلال إيواء المرضى وتخزين المؤونة والأسلحة في المزارع ونجد دعم الأوربيين أيضا في المدن من خلال مساعدة بعض الأطباء والصيادلة لجرحى جيش التحرير الوطني.

❖ كذلك الجانب الإعلامي بحيث ساهم الراديو بشكل كبير في إسماع صدى الثورة الجزائرية من خلال إذاعة صوت الجزائر المكافحة التي حققت نجاحا في المجال الداخلي بحيث استطاعت توحيد الشعب وتعبئته للالتفاف حول الثورة عن طريق التأثيرات التي يسمعها في الراديو والذي يبث وقائع الثورة وأمجاد الثوار وتبيان حقيقة المستعمر أما فيما يخص استطاعة إسماع صدى الثورة إلى العالم أجمع وكسب التأييد والمساندة من أغلب الدول سواء كان الدعم من الجانب المادي أو المعنوي.

❖ كذلك ساهمت الثورة في تغيير نظرة الشعب الجزائري إلى الطب والأطباء بصفة عامة وتجسد هذا في تفسير ملحوظ في مواقفه اتجاه المستشفيات التابعة للمحتل والإجماع ضرورة اتخاذ تدابير لإقامة نظام صحي يكون ركيزة للثورة التحريرية.

ونستنتج في الأخير أن كتاب العام الخامس للثورة الجزائرية مصدرا مفصلا عن التغييرات التي أحدثتها الثورة الجزائرية ويعتبر وثيقة دامغة ضد الاستعمار الفرنسي ومن جهة

أخرى وثيقة موضحة لرغبة الشعب ومجهوداته في الإصرار عن تغيير مصيره نحو بناء دولة مستقلة ذات سيادة.

الملاحق

الملحق رقم: 01

رسالة استقالة فانون المقدمة إلى الحاكم العام روبير لاكوست[1] :

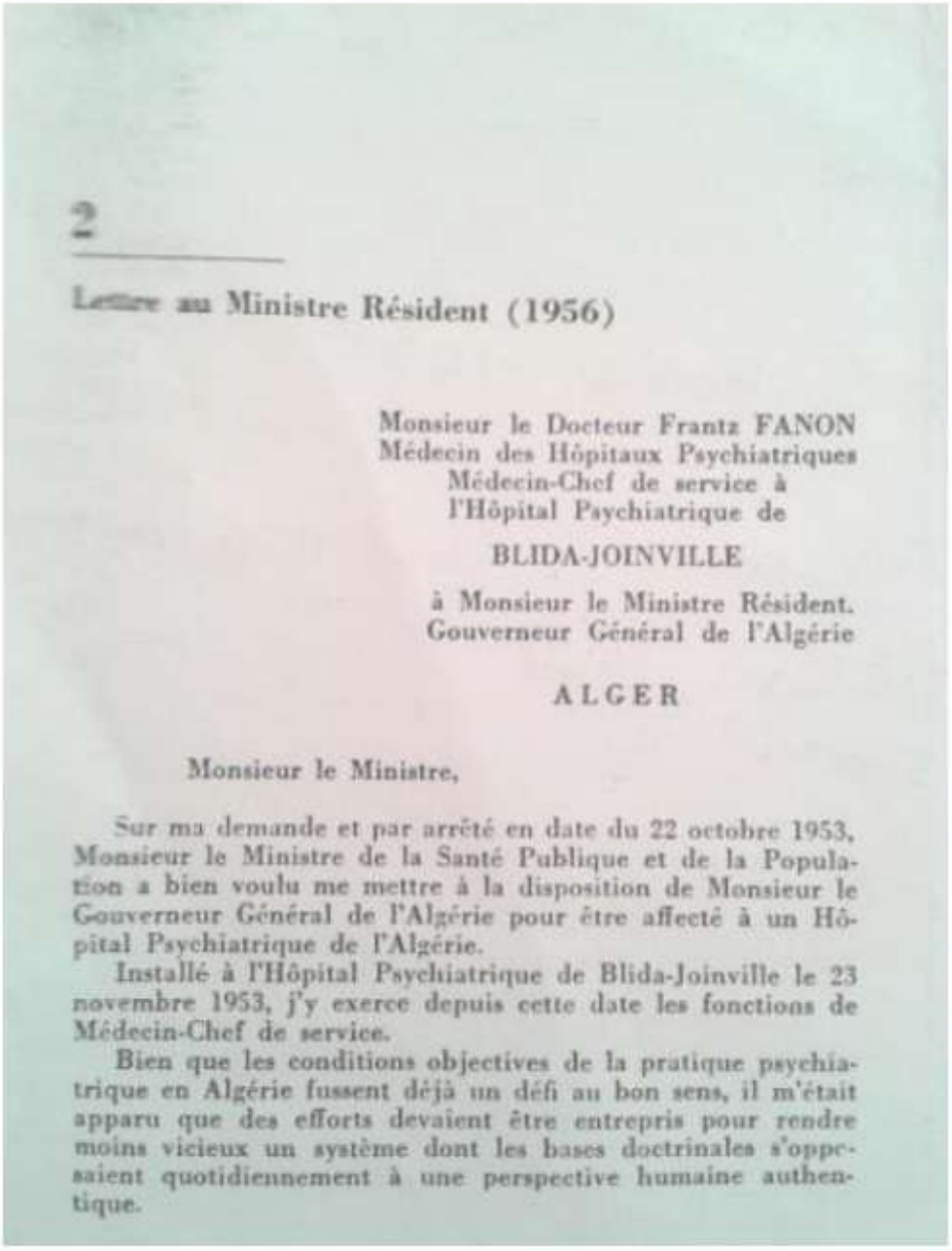

2

Lettre au Ministre Résident (1956)

Monsieur le Docteur Frantz FANON
Médecin des Hôpitaux Psychiatriques
Médecin-Chef de service à
l'Hôpital Psychiatrique de
BLIDA-JOINVILLE

à Monsieur le Ministre Résident.
Gouverneur Général de l'Algérie
ALGER

Monsieur le Ministre,

Sur ma demande et par arrêté en date du 22 octobre 1953, Monsieur le Ministre de la Santé Publique et de la Population a bien voulu me mettre à la disposition de Monsieur le Gouverneur Général de l'Algérie pour être affecté à un Hôpital Psychiatrique de l'Algérie.

Installé à l'Hôpital Psychiatrique de Blida-Joinville le 23 novembre 1953, j'y exerce depuis cette date les fonctions de Médecin-Chef de service.

Bien que les conditions objectives de la pratique psychiatrique en Algérie fussent déjà un défi au bon sens, il m'était apparu que des efforts devaient être entrepris pour rendre moins vicieux un système dont les bases doctrinales s'opposaient quotidiennement à une perspective humaine authentique.

1 – Frantz Fanon, Pour La Révolution Africaine, Édition Maspero, paris, 1975, p 50.

الجزء الثاني من رسالة الاستقالة[1]

Pendant près de trois ans je me suis mis totalement au service de ce pays et des hommes qui l'habitent. Je n'ai ménagé ni mes efforts, ni mon enthousiasme. Pas un morceau de mon action qui n'ait exigé comme horizon l'émergence unanimement souhaitée d'un monde valable.

Mais que sont l'enthousiasme et le souci de l'homme si journellement la réalité est tissée de mensonges, de lâchetés, du mépris de l'homme ?

Que sont les intentions si leur incarnation est rendue impossible par l'indigence du cœur, la stérilité de l'esprit, la haine des autochtones de ce pays ?

La Folie est l'un des moyens qu'a l'homme de perdre sa liberté. Et je puis dire, que placé à cette intersection, j'ai mesuré avec effroi l'ampleur de l'aliénation des habitants de ce pays.

Si la psychiatrie est la technique médicale qui se propose de permettre à l'homme de ne plus être étranger à son environnement, je me dois d'affirmer que l'Arabe, aliéné permanent dans son pays, vit dans un état de dépersonnalisation absolue.

Le statut de l'Algérie ? Une déshumanisation systématisée.

Or le pari absurde était de vouloir coûte que coûte faire exister quelques valeurs alors que le non-droit, l'inégalité, le meurtre multi-quotidien de l'homme étaient érigés en principes législatifs.

La structure sociale existant en Algérie s'opposait à toute tentative de remettre l'individu à sa place.

Monsieur le Ministre il arrive un moment où la tenacité devient persévération morbide. L'espoir n'est plus alors la porte ouverte sur l'avenir mais le maintien illogique d'une attitude subjective en rupture organisée avec le réel.

Monsieur le Ministre, les événements actuels qui ensanglantent l'Algérie ne constituent pas aux yeux de l'observateur un scandale. Ce n'est ni un accident, ni une panne du mécanisme.

1 – Frantz Fano, Op.cit,p 51.

الجزء الثالث للرسالة[1]

Les événements d'Algérie sont la conséquence logique d'une tentative avortée de décérébraliser un peuple.

Il n'était point exigé d'être psychologue pour deviner sous la bonhomie apparente de l'Algérien, derrière son humilité dépouillée, une exigence fondamentale de dignité. Et rien ne sert, à l'occasion de manifestations non simplifiables, de faire appel à un quelconque civisme.

La fonction d'une structure sociale est de mettre en place des institutions traversées par le souci de l'homme. Une société qui acule ses membres à des solutions de désespoir est une société non viable, une société à remplacer.

Le devoir du citoyen est de le dire. Aucune morale professionnelle, aucune solidarité de classe, aucun désir de laver le linge en famille ne prévaut ici. Nulle mystification pseudo-nationale ne trouve grâce devant l'exigence de la pensée.

Monsieur le Ministre, la décision de sanctionner les grévistes du 5 juillet 1956 est une mesure qui, littéralement, me paraît irrationnelle.

Ou les grévistes ont été terrorisés dans leur chair et celle de leur famille, alors il fallait comprendre leur attitude, la juger normale, compte tenu de l'atmosphère.

Ou leur abstention traduisait un courant d'opinion unanime, une conviction inébranlable, alors toute attitude sanctionniste était superflue, gratuite, inopérante.

Je dois à la vérité de dire que la peur ne m'a pas paru être le trait dominant des grévistes. Bien plutôt il y avait le vœu inéluctable de susciter dans le calme et le silence une ère nouvelle toute de paix et de dignité.

Le travailleur dans la cité doit collaborer à la manifestation sociale. Mais il faut qu'il soit convaincu de l'excellence de cette société vécue. Il arrive un moment où le silence devient mensonge.

Les intentions maîtresses de l'existence personnelle s'accomodent mal des atteintes permanentes aux valeurs les plus banales.

Depuis de longs mois ma conscience est le siège de débats impardonnables. Et leur conclusion est la volonté de ne pas désespérer de l'homme, c'est-à-dire de moi-même.

Ma décision est de ne pas assurer une responsabilité coûte

1 – Frantz Fanon, Op.cit, p 52.

الجزء الرابع للرسالة:

que coûte, sous le fallacieux prétexte qu'il n'y a rien d'autre a faire.

Pour toutes ces raisons, j'ai l'honneur, Monsieur le Ministre, de vous demander de bien vouloir accepter ma démission et de mettre fin à ma mission en Algérie, avec l'assurance de ma considération distinguée.

1 – Frantz Fanon, ،Op.cit,p 53.

الملحق رقم:[1]02

صورة لبعض قادة الجبهة الجنوبية التي دعا إليها فرانتز فانون[1]

[1] https//www.google.com/images ?imguri=https3a2fupload.wikimedia.

الملحق رقم:03[1]

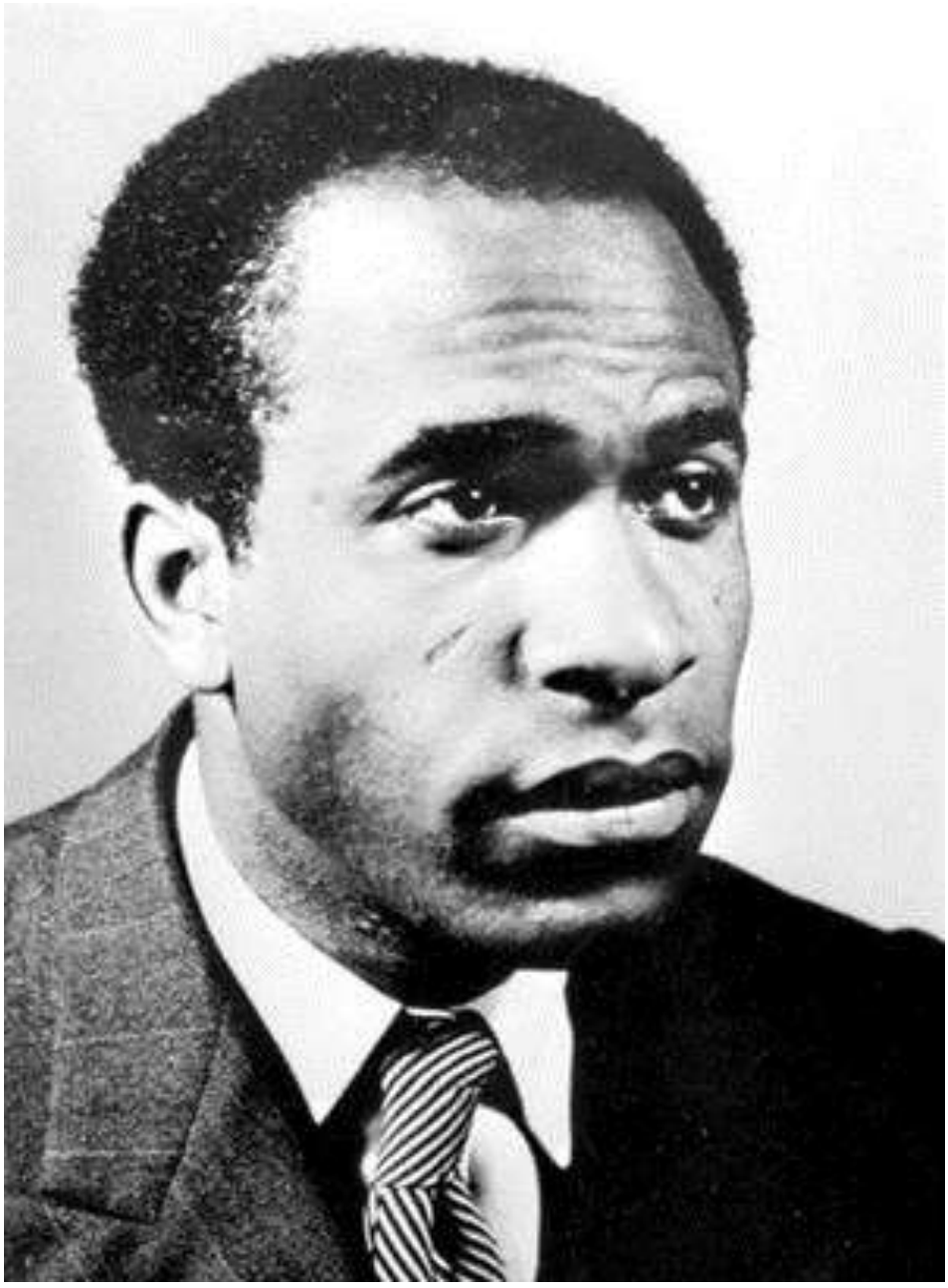

[1]https://www.marefa.org/%D9%81%D8%B1%D8%A7%D9%86%D8%B2_%D9%81%D8%A7%D9%86%D9%88%D9%86

الملحق رقم 04[1]

[1] فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية.

الملحق رقم 05[1]

[1] فرانز فانون، معذبو الأرض.

الملحق رقم 06

قبر فرانز فانون ببلدية عين الكرمة ولاية الطارف [1]

[1]https://www.google.com/imgres?imgurl=https%3A%2F%2Fupload.wikimedia.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

1. ديفيد كوت. فرانز فانون سيرة فكرية. تر. عدنان كيالي. تق فوزي سليسلي.ط1. مدارات للأبحاث والنشر. القاهرة مصر. يناير 2017.
2. شارل روبير أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، تر: عيسى عصفور، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر، 1982.
3. علي كافي، مذكرات من المناضل الى القائد العسكري 1936-1962، دحلب، الجزائر، 2011م.
4. علي كافي، من مناضل سياسي الى قائد عسكري، 1946-1962م، دار القصبة للنشر، الجزائر، 1999م
5. فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية تر. دوقان قرقوط،anep دار الفارابي. الجزائر 2004.
6. فرانز فانون، معذبو الأرض: تر: سامي الدروبي، جمال الاتاسي، مدارات للأبحاث والنشر، ط2، يناير 2015م.
7. لخضر بورقعة، مذكرات الرائد سي لخضر بورقعة، شاهد على اغتيال الثورة، (د ط) طبع وتوزيع، دار الحكمة، ديدوش مراد، الجزائر، 2012.
8. محمد الصالح الصديق، كيف ننسى وهذه جرائمهم، دار هومة، الجزائر، 2009.
9. محمد الميلي فرانز فانون والثورة الجزائرية، د، ط، دار الكتاب العربي، بيروت، د س.
10. هنري علاق، "عودة الاستيطان، حوار مع جبل مارتان، تر: مصطفى وليد عبد الخالق، أمدوكال للنشر، الجزائر، 2013.

المراجع بالعربية:

1. إبراهيم لونيسي، المجاهد ودورها في الحرب النفسية إبان الثورة التحريرية ملتقى الاعلام ومهامه أثناء الثورة، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 1998.
2. أحمد حمدي، الاعلام ومهامه أثناء الثورة، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر.
3. أنيسة بركات درار، نضال المرأة الجزائرية خلال الثورة التحريرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
4. باتريك افينو، جون بلانشايس، حرب الجزائر، ملف وشهادات، تر: بن داود سلامنية، ج1، الجزائر، 2013.
5. بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر من 1830 الى 1989م، ج2، د ط، دار المعرفة، الجزائر، 2006).
6. بوعلام حمودة، الثورة الجزائرية ثورة أول نوفمبر 1954 معالمها الأساسية، دار النعمان، 2012م.
7. بيار وكلودين شولي، ...اخترنا الجزائر صوتان وذاكرة، تر: زينب قبي، منشورات البرزخ، 2013م حامد ربيع، الحرب النفسية في المنطقة العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ط1، 1974.
8. تومي محمد طبيب في معاقل الثورة حرب التحرير الوطني 1954 – 1962، سلسلة المترجمات، طبعة خاصة، وزارة المجاهدين، 2010.
9. حسينة حماميد، المستوطنون الأوروبيون والثورة الجزائري 1954–1962، منشورات الحبر الجزائر، 2007م.

10. سليمة كبير، فرانز فانون المفكر الغائص في أعماق الثورة الجزائرية، المكتبة الخضراء للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د س، ص10.
11. السنوسي صدار، الإذاعة السرية خلال مدة الحرب، منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال، الجزائر، 2003.
12. سيف الإسلام الزبير، صفحات من الصراع الجزائري الفرنسي، المؤسسة الوطنية للطباعة، الجزائر، 1988.
13. شونبيرغ أف، الطب الشعبي الجزائري في بداية الاحتلال، تر: أبو العيد دودو، منشورات وزارة الثقافة، مديرية الفنون والآداب، الجزائر، 2004.
14. عامر رخيلة، 8 ماي 1945، المنعطف الحاسم في مسار الحركة الوطنية، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، د س.
15. عائشة ليتيم: جرائم فرنسا، وجهاد المرأة الريفية، دار هومة للنشر والتوزيع، بوزريعة، الجزائر، 2014.
16. عباس متولي، صوت العرب الإذاعة التي قوضت أركان الاستعمار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر.
17. عبد الحميد حيفري: فرانز فانون بعض ملامح الشخصية الجزائرية في كتاباته، د ط، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007م.
18. عبد الرحمن كريمي، ومنهم من ينتظر، مذكرات النقيب سي مراد، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.
19. عبد القادر غراب، فرانز فانون "رجل القطيعة" تر: عبد السلام يخلف، ط3، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.
20. عبد القادر غراب، فرانز فانون رجل القطيعة، تر: عبد السلام يخلف، دار بهاء للنشر والتوزيع الجزائر، ط2، 2003.

21. عبد الله مقلاتي، البعد الافريقي للثورة الجزائرية ودور الجزائر في تحرير افريقيا، ط1، الشروق، الجزائر، 2009.

22. عبد الله مقلاتي، الجبهة الجنوبية لجيش التحرير الوطني بمالي، منشورات ANEP الجزائر، 2017م.

23. عبد الله مقلاتي، مرم محفوظ، الجبهة المالية النيجيرية ودورها الاستراتيجي في الثورة الجزائرية

24. علي قيصر. فرانز فانون المعذبون في الارض. دورية الاستغراب. المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية. بيروت.ع12. 2018.

25. عمراني عبد الحميد، جون بول سارتر والثورة الجزائرية، د ط، مكتبة مدبولي، باتنة، الجزائر، د س.

26. عواطف عبد الرحمن، الصحافة العربية في الجزائر دراسة تحليلية لصحافة الثورة الجزائرية 1954-1962، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

27. لمركز الوطني للدراسات البحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954. كفاح المرأة الجزائرية. دراسات وبحوث الملتقى الوطني الاول حول كفاح المرأة، ط2. منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954.الجزاير 2007.

28. محمد الشريف عباس واخرون، كفاح المرأة الجزائرية، ط2، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، دار هومة، الجزائر 2007.

29. محمد الصالح الصديق، الرافضون عبر التاريخ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2005م، ج1.

30. محمد بوشان، استراتيجية الثورة في مواجهة أزمة التسليح (58، 62)، دار بوسعادة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013،

31. محمد صايكي، مذكرات محمد صايكي شهادة تأثر من قلب الجزائر'تح: محفوظ اليزيدي 'دار الامة للطباعة والنشروالتوزيع'الجزائر2010

32. مصطفى خياطي، الطب والأطباء في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، منشورات ، طبع المؤسسة الوطنية للاتصال، النشر والإشهار، وحدة الطباعة الرويبة، 2014

33. مصطفي خياطي، المآزر البيضاء خلال الثورة الجزائرية، منشورات (ANEP)، تر: نسيبة غربي'2013

34. مولود قاسم نايت بلقاسم، ردود الفعل الأولية داخليا وخارجيا على ثورة نوفمبر، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، ط2، الجزائر، 2002.

35. نوارة حسين: "المثقفون الجزائريون بين الأسطورة والتحول العسير، سنوات من الجمر، سنوات من النار، تر: سعيدي فتحي، دحلب، موفد للنشر، الجزائر، 2013.

36. يحي بوعزيز، الحالة الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الريفي بالشرق الجزائري خلال القرن التاسع عشر، ضمن كتاب تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، 1999.

الرسائل والمذكرات:

1. رزيقة بن ربيع، العرق والثقافة في كتابات فرانز فانون مقارنة نقدية ثقافية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة مولود تيزي وزو، 2016.

2. فائزة بكار، إذاعة الجزائر الحرة المكافحة 1956-1962، دراسة تاريخية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علوم الاعلام والاتصال، كلية العلوم السياسية والاعلام، قسم علوم الاعلام والاتصال، جامعة الجزائر، 2010.

3. ماضي مسعودة، فرانز فانون والثورة في افريقيا 1925-1961م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، تخصص التاريخ الافريقي والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة أدرار، الجزائر، 2008-2009.
4. يمينة مجاهد، تاريخ الطب في الجزائر في ظل الاستعمار الفرنسي 1830-1962، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، أحمد بن بلة، وهران، 2017-2018.

المجلات والجرائد:

1. إكرام بن عيسى "حياة فرانز فانون ونضاله مع الثورة الجزائرية 1925-1961م" مجلة الفرطاس، جامعة أبو بكر بالقايد تلمسان، الجزائر، ع8، جانفي 2018.
2. أنيسة بركات، محاضرات ودراسات تاريخية وأدبية حول الجزائر منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1995.
3. بلحسن بالي: المرأة الجزائرية خلال حرب التحرير 1954-1962، تر: صاري علي حكمت، (د ر ط)، منشورات ثالثة، الأبيار، الجزائر، 2010.
4. رابح لونيسي، فرانز فانون والبحث عن الخلاص النفسي في الثورة الجزائرية، مجلة عصور، مج1، ع1، 2002.
5. الشروق اليومي 29 ديسمبر 2005، ع1573، أوراق خاصة.
6. صالح عبد الزروق، "فرانز فانون والاستعمار سيكولوجيا الاضطهاد"، مجلة المثقف شهادات ومذكرات وشخصيات كانون الأول (ديسمبر، د ع، 2011.)
7. عبد القادر حسين ياسين، "الدكتور فرانز فانون المفكر الأسود الذي مزق الأقنعة البيضاء"، مجلة النور ع 26، 8 ديسمبر 2015م، ص03.
8. عبد المجيد وجلة، التفتيت السياسي للجزائر في الاستراتيجية الفرنسية ودور الثورة في الحفاظ على الوحدة الكاملة، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، مج1، ع2، 2014.

9. عماد الدين طهيري، الكولونيالية وخطاب التحرر في فلسفة فانون "فانون وتثقيف الثورة الجزائرية"، جامعة أبي بكر بالقايد تلمسان، الجزائر، ع6، جوان، 2017م.
10. العياشي علي، مصلحة الصحة بالولاية السادسة، مجلة أول نوفمبر، ع 106 – 107، جويلية / أوت.
11. فاطمة ديلمي، تفكيك الخطاب الكولونيالي واسقاط الأقنعة قراءة في فكر فراتز فانون، مجلة الكلم، كج 6، ع1، 2016.
12. كديدة مبارك، دور فرانز فانون في إنشاء الجبهة الجنوبية الصحراوية في الثورة الجزائرية 1960–1962، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع27، المركز الجامعي تمنغاست، الجزائر، ديسمبر، 2016م.
13. لمجاهد، دار التزوير الإذاعي، الاثنين 26 رجب 1379، 25 جانفي 1960، العدد.
14. متحف المجاهد في الطارف، ذاكرة ماحية بأكملها، الطارف 15 سبتمبر 2017).
15. المجاهد، 30 جانفي 1961، ع88.
16. المجاهد، مؤتمر أكر الافريقي، ع34، 24 ديسمبر 1958م، ج2.
17. يمينة باشي: صور وعبر وشعر نوفمبر لجهاد المرأة ضد المستعمر، مجلة المصادر، ع4، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2010.

المقالات والدوريات والملتقيات:

1. أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر بداية الاحتلال، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د. س.
2. الصادق دهاش، مقتطفات من الاعلام في الثورة، ملتقى الاعلام ومهامه أثناء الثورةان المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 1989.

3. صادق سلطاني، صديق فرانز فانون من ولاية الطارف في تقرير عرض على قناة النهار الجزائرية (النشرة الإخبارية بتاريخ 01/ 02/ 2019) الساعة 12 و40 دقيقة).
4. الغالي غربي، اندلاع ثورة نوفمبر من خلال الصحافة الفرنسية، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 1998.
5. الفجرى بن ميلود الفجرى دغمان، ملتقى فرانز فانون، مديرية الثقافة لولاية الطارف، الطبعة السابعة، 06-08-2012.
6. لزهر بديدة، موقف الاعلام الفرنسي من اندلاع الثورة التحريرية من خلال برقية قسنطينة، مجلة الاعلام ومهامه أثناء الثورة، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 1998.
7. لونيسي إبراهيم، العمل الاجتماعي والفدائي للمرأة في الريف الجزائري خلال الثورة الملتقى الوطني حول المرأة الجزائرية في الحركة الوطنية والثورة التحريرية، وهران، يوم 18-19 جوان، 2007.
8. المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نزفمبر 1954.
9. المصادر الأولية لثورة أول نوفمبر 1954، ثلاث نصوص أساسية حزب الشعب الجزائري انتصار الحريات الديمقراطية، تق: عبد الرحمن كيوان، تر: أحمد
10. المنظمة الوطنية للمجاهدين، التقرير السياسي، ج1 (1956 – 1958.

القواميس والموسوعات:

1. بوعلام بلقاسمي واخرون، موسوعة أعلام الجزائر 1954-1962م، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007م

2. رشيد خطاب، الخاوة والرفاق قاموس بيوغرافي للجزائريين ذوي الأصل الأوروبي واليهودي والحرب التحريرية الجزائرية (1954-1962م) تر: محمد رضا بوخالفة ونسرين لولي، د ط، دار الخطاب الجزائر، 2013م.

3. عبد الله مقلاتي، موسوعة أعلام وأبطال الثورة الجزائرية، وزارة الثقافة، الجزائر، 2013.

المراجع باللغة الأجنبية:

1- William Strike and, Frantz fanon : Hishifs and work of American studies faculty publiction series, janury 1979.

فهرس

المحتويات

فهرس المحتويات	الصفحة
شكر وعرفان	
إهداءات	
قائمة المختصرات	
مقدمة	أ_د
الفصل الاول: نبذة تاريخية عن شخصية فرانز فانون	
❖ المبحث الأول: مولده و نشأته (1925_1945)	8-6
❖ المبحث الثاني: تكوينه و دراسته و أهم مؤلفاته (1936_1961)	17-9
❖ المبحث الثالث : علاقته بالثورة الجزائرية (1956_1960)	26-18
❖ المبحث الرابع : مرضه ووفاته (1960_1961)	28-26
الفصل الثاني: التركيبة الاجتماعية في الجزائر خلال الثورة	
❖ المبحث الأول: الأسرة الجزائرية	35-30
❖ المبحث الثاني: المرأة الجزائرية	53-36
❖ المبحث الثالث: الأقلية الأوروبية في الجزائر	64-54
الفصل الثالث: الإعلام الإذاعي في الجزائر خلال الثورة (إذاعة صوت الجزائر الحرة نموذجا)	
❖ المبحث الأول: الإذاعة وسيلة للدعاية الاستعمارية	68-66
❖ المبحث الثاني: نشأة إذاعة الجزائر الحرة المكافحة كسلاح في معركة التحرير	79-69
❖ المبحث الثالث: تأثير الإذاعة الجزائرية على مسار الثورة	81-80
الفصل الرابع: الوضع الصحي في الجزائر في ظل النظام الاستعماري	
❖ المبحث الأول: التنظيم الصحي و العناية الطبية خلال حرب التحرير	90-83
❖ المبحث الثاني: المنظومة الفرنسية خلال حرب التحرير	98-91

خاتمة	
قائمة الملاحق	112-104
قائمة المصادر والمراجع	122-114
الملخص	

تمت بحمد الله

الملخص:

يعتبر فرانز فانون من أبرز الشخصيات التي ساهمت ودعمت الثورة الجزائرية وذلك من خلال عدة أعمال قام بها وأبرزها كتابه الثورة الجزائرية في عامها الخامس والذي يتحدث فيه عن التغيرات والتطورات التي مست عدة جوانب من المجتمع الجزائري إبان إندلاع الثورة التحريرية حيث تطرق فانون في التحليل إلى دور المرأة في الثورة والتغيرات التي طرأت داخل الأسرة مبينا كذلك السياسة الاستعمارية التي أراد المستعمر تحطيم المجتمع الجزائري بها كذلك تناول فانون جانب الإعلام وما أحدثته تقنية الراديو وإذاعة صوت الجزائر المكافحة في إسماع صدى الثورة في الداخل والخارج كذلك تطرق إلى الأقلية الأوروبية في الجزائر ودعمها للثورة كما خصص فصل يتحدث عن التغيرات التي طرأت على الجانب الصحي من خلال تغير نظرة الشعب اتجاه الطب والأطباء.

Abstract:

Frantz Fanon is considered one the most promiment figures who contributed and supported the algerian revolution through several works he carreid out most notably his look the algerian revolution in its fifth years in which he talks about the changes and devlopments that affected sevral aspects of algerian society during the outbreak of the loberation revolution

Analysis on the role of women in the revolution and the changes that occurred within the family indicating as well the colonial policy that the colonizer wanted to destroy algerian society with Fanon also addressed the aspect of media and what radio technology and voice of algerian bought about the struggle to hear the echo of the revolution at Home and abroad he also touched on the minority the European union in algerian and its support for the revolution and achpter was devoted to talking about the changes that occurred was devoted to talking about the changes that occurred in the changes that occurred in the health aspect through changing the peoples vieu of medicine and doctors